سِلْسِلَةٌ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الحَدِيثِ 118

التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ

تَعْرِيفُهَا، حَقِيقَتُهَا، مَفْهُومُهَا، شُرُوطُهَا

تَأْلِيفُ

الشَّيْخِ العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ

فَوْزِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحُمَيْدِيِّ الأَثَرِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ

التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ
تَعْرِيفُهَا، حَقِيقَتُهَا،
مَفْهُومُهَا، شُرُوطُهَا

حُقوقُ الطبعِ مَحفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ ٢٠٢٥

مكتبة

أهل الحديث

مملكة البحرين - قلالي

التويتر: ahel_alhadeeth@

البريد: ahel.alhadeeth@gmail.com

سِلْسِلَةٌ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الحَدِيثِ 118

التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ

تَعْرِيفُهَا، حَقِيقَتُهَا، مَفْهُومُهَا، شُرُوطُهَا

تَأْلِيفُ

الشَّيْخِ العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ

فَوْزِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحُمَيْدِيِّ الأَثَرِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ فَإِنَّكَ نِعْمَ الْمُعِينُ

الْمُقَدِّمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاءُ: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ:٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ التَّوْبَةَ، وَظِيفَةُ الْعُمُرِ، وَبِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَوْسَطِهَا، وَآخِرِهَا.

* وَحَاجَتُنَا إِلَىٰ التَّوْبَةِ مَاسَّةٌ، بَلْ إِنَّ ضَرُورَتَنَا إِلَيْهَا مُلِحَّةٌ، فَنَحْنُ نُذْنِبُ كَثِيرًا، وَنُفَرِّطُ فِي جَنْبِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَيْلًا وَنَهَارًا؛ فَنَحْتَاجُ إِلَىٰ مَا يَصْقِلُ الْقُلُوبَ، وَيُنَقِّيهَا مِنْ رَيْنِ

الذُّنُوبِ.

* ثُمَّ إِنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ؛ فَالْعِبْرَةُ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ، لَا بِنَقْصِ الْبِدَايَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص١٩٦): (وَمَنْزِلَةُ التَّوْبَةِ: أَوَّلُ الْمَنَازِلِ، وَأَوْسَطُهَا، وَآخِرُهَا.

* فَلَا يُفَارِقُهُ الْعَبْدُ السَّالِكُ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ إِلَىٰ الْمَمَاتِ، وَإِنِ ارْتَحَلَ إِلَىٰ مَنْزِلٍ آخَرَ، ارْتَحَلَ بِهِ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، وَنَزَلَ بِهِ.

* **فَالتَّوْبَةُ**: هِيَ بِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ، وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ، كَمَا أَنَّ حَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ كَذَلِكَ). اهـ.

* **وَلَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ**: أَنَّهُ كُلَّمَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَىٰ أَمْرٍ مَا: يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَعَانَ عَلَيْهِ، بِلُطْفِهِ وَجُودِهِ، وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

* **وَلَقَدْ يَسَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ**: أَمْرَ التَّوْبَةِ، وَفَتَحَ أَبْوَابَهَا، لِمَنْ أَرَادَهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ: يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ.

* **وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ**: لِلْعَاصِينَ، وَالْمُبْتَدِعِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْكَافِرِينَ، وَالْمُرْتَدِّينَ، وَالظَّالِمِينَ، وَغَيْرِهِمْ.

* **ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ**: عَنِ التَّوْبَةِ، يَشْمَلُ كَافَّةَ النَّاسِ، وَيُخَاطِبُ جَمِيعَ الطَّبَقَاتِ، وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ الْعُمُرِ.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

(١) انْظُرْ: «التَّوْبَةَ وَظِيفَةَ الْعُمُرِ» لِلْحَمَدِ (ص٣ و٤).

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ فِي مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ، وَيَسْتَحِلُّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ).[1]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾؛ أَيْ: رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِدَعِ، وَالْمَعَاصِي، وَأَقْلَعَ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَعَزَمَ صِدْقًا، عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، ثُمَّ أَصْلَحَ عَمَلَهُ، بِالصِّدْقِ وَالطَّاعَةِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَالْكَذِبِ، وَالْبِدْعَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْبِدَعِ، وَأَهْلَ الْمَعَاصِي فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].[2]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٥٤١): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾؛ أَيْ: رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَقْلَعَ، وَعَزَمَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَصْلَحَ الْعَمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤]). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٤٤٩)، وَ(٦٥٣٤)، وَابْنُ أَبِي صَالِحٍ فِي «الْأَرْبَعِينَ فِي قَوَاعِدِ الدِّينِ» (ص٧٦).

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٥٤١).

لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥]؛ فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، مَعَ ظُلْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ لِنَدَمِهِمْ، وَلَوْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مِثْلُ: قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ:٥٤]؛ فَمَا وَصَفَهُمْ، بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ.

* فَابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ ... الْحَدِيثُ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٨ ص١٩٩ و٢٠٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢١١٣) مِنْ طَرِيقِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذِهِ التَّوْبَةُ تَكُونُ فِي حَالِ الْحَيَاةِ.

قُلْتُ: فَالَّذِي يَتُوبُ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَهَذَا تَوْبَتُهُ، مِثْلَ الَّذِي تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَمِثْلَ الَّذِي تَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عِنْدَ مُعَايَنَةِ عِقَابِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قُبِلَ مِنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).

---

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٢٨٣ و٢٨٤)، وَ«شُعَبَ الْإِيمَانِ» لِلْبَيْهَقِيِّ (ج١٢ ص٢٦٨)، وَ«الْمِنْهَاجَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ» لِلْحَلِيمِيِّ (ج٣ ص١٣٤ و١٣٥).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٠٣)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «التَّوْبَةِ» (ص٣٤)، وَفِي «تَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِ» (ص٥٧)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٢ ص٢٧٥)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (١٢٩٩)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص١٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (ج١١ ص١٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٨ ص٧٣) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ سِيْرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١) أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

٢) أَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ، مَفْتُوحٌ إِلَىٰ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَمَنْ تَابَ قَبْلَ ذَلِكَ، قُبِلَ مِنْهُ.

٣) أَنَّ مَنْ تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ.

٤) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاصِي، أَوِ الْمُبْتَدِعِ، أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، بَلْ قَدْ يَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ).[1]

* وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ، وَالنَّارَ: قَرِيبَتَانِ، لَيْسَ بَيْنَكَ، وَبَيْنَهُمَا؛ إِلَّا الْمَوْتُ.

* وَالْمَوْتُ مَا تَدْرِي مَتَىٰ يَهْجُمُ عَلَيْكَ، قَدْ يَهْجُمُ عَلَيْكَ، صَبَاحًا، أَوْ مَسَاءً، فَهُوَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَيكَ؛ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٤٨٨).

* **وَشِرَاكُ النَّعْلِ**: هُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ إِصْبَعُ الرِّجْلِ، أَوِ الَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ ظَهْرِ الْقَدَمِ.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: طَهِّرْنِي، فَقَالَ ﷺ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ... ثُمَّ قَالَ ﷺ: لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ).[1]

وَقَوْلُهُ ﷺ؛ عَنِ الْمَرْأَةِ الْغَامِدِيَّةِ: (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ[2]، لَغُفِرَ لَهُ).[3]

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١٠ ص٣١٠): (وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ تَوْبَةٍ، وَهِيَ: وَاجِبَةٌ عَلَىٰ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفُرْقَانِ» (ص٩٥): (فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ اسْتِغْنَاءَهُ مِنَ التَّوْبَةِ، إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ ذَلِكَ، دَائِمًا). اهـ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غَافِرُ: ٣].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ» (ج٣ ص٩٩٢): (بَيَانُ أَنَّ التَّوْبَةَ، إِذَا اجْتَمَعَتْ شَرَائِطُهَا، فَهِيَ: مَقْبُولَةٌ، لَا مَحَالَةَ: اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا فَهِمْتَ: مَعْنَىٰ الْقَبُولِ، لَمْ تَشُكَّ فِي أَنَّ كُلَّ تَوْبَةٍ صَحِيحَةٍ، فَهِيَ: مَقْبُولَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ خُلِقَ سَلِيمًا، فَكُلُّ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٥١).

(٢) **الْمَكْسُ**: النَّقْصُ وَالظُّلْمُ.

وَالْمَكْسُ: دَرَاهِمُ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْ بَائِعِي السِّلَعِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٦ ص٢٢٠).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٥٣).

مَوْلُودٍ: يُوْلَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ.

* وَإِنَّمَا تَفُوتُهُ السَّلَامَةُ بِكُدُورَةٍ تَرْهَقُ وَجْهَهُ مِنْ غَبَرَةِ الذُّنُوبِ وَظُلْمَتِهَا، فَإِذَا تَابَ كُشِفَ مَا كُشِفَ، وَنَسَخَ نُورُ الْحَسَنَاتِ: ظَلَامَ السَّيِّئَاتِ، نَسْخَ النَّهَارِ اللَّيْلَ). اهـ.

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَىٰ، هِيَ أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، عَلَىٰ شَرْطِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَىٰ شَرْطِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُودٌ: ١١٤].

قُلْتُ: وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةِ، لَا تَكُونُ إِلَّا أَثْنَاءَ الْحَيَاةِ، لَا قَبْلَ الْمَوْتِ بِوَقْتٍ يَسِيرٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٥]؛ أَيْ: الَّذِينَ يَرْجِعُونَ

(١) فَلَيْسَت أَيُّ تَوْبَةٍ مِمَّا يَفْعَلُهَا الْآنَ أَهْلُ الْبِدَعِ، وَمِمَّا يَفْعَلُهَا أَهْلُ الْمَعَاصِي فِي هَذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَىٰ أُصُولِ الدِّينِ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ.

إِلَىٰ الْخَيْرِ.(١)

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٠١].

قُلْتُ: فَهَذِهِ التَّوْبَةُ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَىٰ بِفَضْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٢٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٣٠٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (١٠١٩٧)، وَفِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٤٣٦)، وَالْعَلَائِيُّ فِي «الْأَمَالِي الْأَرْبَعِينَ فِي أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ» (ج٢ ص٤١) مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَلَائِيُّ فِي «الْأَمَالِيِّ الْأَرْبَعِينَ» (ج٢ ص٤٠): (وَالنَّبِيُّ ﷺ: ثَابِتُ الْعِصْمَةِ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُ قَطْعًا مَا يَقْتَضِي التَّوْبَةَ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ مَائَةَ مَرَّةٍ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

* **وَإِنَّمَا قَصَدَ ﷺ:** تَحْرِيضَهُمْ عَلَىٰ التَّوْبَةِ بِالتَّأَسِّي بِهِ ﷺ، وَعَبَّرَ بِالتَّوْبَةِ عَنِ

(١) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٥ ص١٧٠).

الِاسْتِغْفَارِ الَّذِي كَانَ يُكْثِرُ مِنْهُ). اهـ.

* **فَاسْتِغْفَارُهُ** ﷺ: هَذَا إِنَّمَا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالِافْتِقَارِ، وَمُلَازَمَةِ الْخُضُوعِ، وَالشُّكْرِ لِمَا أَوْلَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ.(١)

قُلْتُ: وَبِالْجُمْلَةِ: فَأُمَّتُهُ ﷺ، أَحْوَجُ إِلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ مِنْهُ وَالتَّوْبَةِ، لِفَقْدِ الْعِصْمَةِ فِيهِمْ.

وَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي الْعَالِيَةِ رحمه الله **قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ النِّفَاقِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ**).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٨٩٧ و٩٠٠ و٩٠١)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (١٤٧٩)، وَ(١٤٨٨)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٢٧٩) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَهُوَ مُتَابَعٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١ و١٧٢).

* **فَنَزَلَتِ الْأُولَىٰ**: فِي الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾

---

(١) انْظُرْ: «الْأَمَالِيَّ الْأَرْبَعِينَ فِي أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ» لِلْعَلَائِيِّ (ج٢ ص٤٢)، وَ«مِنْهَاجَ الْقَاصِدِينَ وَمُفِيدَ الصَّادِقِينَ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٣ ص٩٨١)، وَ«الْحَدَائِقَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالزُّهْدِيَّاتِ» لَهُ (ج٣ ص١٧٠).

[النِّسَاءُ: ١٧].

* **وَنَزَلَتِ الْوُسْطَىٰ**: فِي الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُبْتَدِعِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

***وَنَزَلَتِ الْأُخْرَىٰ**: فِي الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].(١)

قُلْتُ: وَمَعْنَىٰ الْآيَاتِ: لَا تَوْبَةَ لِكَافِرٍ، وَلَا مُشْرِكٍ، وَلَا مُبْتَدِعٍ، وَلَا عَاصٍ، إِذَا تَابَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ، أَوِ الْمَرَضِ، أَوِ الْهَلَاكِ، مَا دَامَ هُوَ مُعَانِدٌ، وَمُصِرٌّ، وَيُعَادِي فِي طُوَالِ حَيَاتِهِ.(٢)

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ قَالَ: سَأَلْت سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: (الشِّرْكُ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠٨ و٤٠٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

---

(١) وَانْظُرْ: «الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٧ و٢٨)، وَ«بَحْرَ الْعُلُومِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٥)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ الْمُنْذِرِ (ج٢ ص٦٠٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ (ج١ ص٣٥٥)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥١٨).

(٢) **فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ**: وَعْظِ الْقُرْآنِ لَهُ، وَلَا نُصْحِ السُّنَّةِ لَهُ، وَلَا إِرْشَادِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَهُ، فَهُوَ مُكَابِرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَهَذَا أَنَّىٰ لَهُ التَّوْبَةُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥-١٦٠].

* إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِنْ أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ؛ هُمْ: أَهْلُ الْبِدَعِ، الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ، لَا فِي قَوْلِهِ ﷺ، وَلَا فِي فِعْلِهِ.

* بَلْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيرِ عِلْمٍ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٩٥]؛ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ.

* **وَاللَّعْنَةُ**، الْفَعْلَةُ، مِنْ لَعْنَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، بِمَعْنَىٰ: أَقْصَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَبْعَدَهُ، وَأَسْحَقَهُ.

* **وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٨٧].

قُلْتُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَوْبَةَ: أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَتَوْبَةَ: أَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ، لَا تُقْبَلُ، إِلَّا بِشُرُوطِهَا، الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ.

* **وَالتَّوْبَةُ**: مَصْدَرُ، قَوْلِكَ: تَابَ يَتُوبُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «**تَ**»، «**وَ**»، «**بَ**»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ الرُّجُوعِ.

يُقَالُ: تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ أَيْ: رَجِعَ عَنْهُ: تَوْبَةً وَمَتَابًا.

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١١٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٢ ص٢٨)، وَ«أَحْكَامَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ العَرَبِيِّ (ج١ ص٥٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠).

وَالْوَصْفُ مِنْهُ: تَائِبٌ، وَالتَّوْبُ: تَرْكُ الذَّنْبِ عَلَىٰ أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ أَبْلَغُ وُجُوهِ الِاعْتِذَارِ.

وَيُقَالُ: تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَيْ: تَذَكَّرَ مَا يَقْتَضِي الْإِنَابَةَ، نَحْوَ: قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا﴾ [النُّورُ:٣١]؛ أَيْ: عُودُوا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَنِيبُوا إِلَيْهِ.

وَيُقَالُ: تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ؛ أَيْ: قَبِلَ مِنْهُ التَّوْبَةَ.

* **وَاللهُ تَعَالَىٰ**: تَائِبٌ عَلَىٰ عَبْدِهِ.

* **وَيُقَالُ**: تَابَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَفَّقَهُ إِلَىٰ التَّوْبَةِ.

* **وَأَصْلُ**: تَابَ، عَادَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَجَعَ، وَأَنَابَ، وَتَابَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، أَيْ: عَادَ إِلَيْهِ، بِالْمَغْفِرَةِ.

* **وَالتَّوَّابُ**: الْعَبْدُ الْكَثِيرُ التَّوْبَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ مَتَابًا﴾ [الْفُرْقَانُ: ٧١]، يُقْصَدُ بِهِ: التَّوْبَةُ التَّامَّةُ.

* **وَالتَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ**: تَرْكُ الذَّنْبِ لِقُبْحِهِ، وَالنَّدَمُ: عَلَىٰ مَا فَرْطٍ مِنْهُ، وَالْعَزِيمَةُ: عَلَىٰ تَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ، وَتَدَارُكِ مَا أَمْكَنَهُ: أَنْ يَتَدَارَكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.(١)

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَقَايِيسِ اللُّغَةِ» (ج١ ص٣٥٧): (التَّاءُ، وَالْوَاوُ، وَالْبَاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، تَدُلُّ عَلَىٰ الرُّجُوعِ.

---

(١) انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج١ ص٤٥٤)، وَ«مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج١ ص٣٥٧)، وَ«الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج١ ص٩٢)، وَ«الْمُفْرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ (ص٧٦)، وَ«التَّعْرِيفَاتِ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص٧٤).

يُقَالُ: تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ أَيْ: رَجِعَ عَنْهُ، يَتُوبُ اللهِ تَعَالَىٰ: تَوْبَةً، وَمَتَابًا، فَهُوَ: تَائِبٌ.

* **وَالتَّوْبُ**: التَّوْبَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غَافِرُ:٣]. اهـ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (ج١ ص٢٣٣): (وَتَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، يَتُوبُ، تَوْبًا، وَتَوْبَةً، وَمَتَابًا، أَنَابَ، وَرَجَعَ: عَنِ الْمَعْصِيَةِ، إِلَىٰ الطَّاعَةِ). اهـ.

* **وَالتَّوْبَةُ**: تَكُونُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ: عَلَىٰ الْعَبْدِ.

* **فَإِذَا كَانَتْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ**: عُدِّيَتْ، بِـ«**عَلَىٰ**».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ:١٧].

* **وَالتَّوْبَةُ**: تَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ، إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، عُدِّيَتْ، بِـ«**إِلَىٰ**».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ:٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ مَتَابًا﴾ [الْفُرْقَانُ:٧١].

قُلْتُ: وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ، اسْمَ: التَّائِبِ، حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي يَفْعَلُهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزُّمَرُ:٥٤].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٦١): (أَيِ: ارْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾؛ أَيْ: بَادِرُوا:

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٣٤٤).

بِالتَّوْبَةِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَبْلَ حُلُولِ النِّقْمَةِ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ الْكُبْرَىٰ» (ج٥ ص١٨٨): (فَالْقَلْبُ: لَا يَصْلُحُ، وَلَا يُفْلِحُ، وَلَا يَتَلَذَّذُ، وَلَا يُسَرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ؛ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَحُبِّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفُرْقَانُ:٧٠].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٣١٠): (وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِشَارَةِ، لِلتَّائِبِينَ: إِذَا اقْتَرَنَ بِتَوْبَتِهِمْ، إِيْمَانٌ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ، وَهُوَ: حَقِيقَةُ، التَّوْبَةِ). اهـ.

* **فَتَأْجِيلُ التَّوْبَةِ**: مِنَ الْأَخْطَاءِ الْكُبْرَىٰ، لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُدْرِكُ خَطَأَهُ، وَيَعْلَمُ حُرْمَةَ مَا يَقَعُ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ: يُؤَجِّلُ التَّوْبَةَ، وَيُسَوِّفُ فِيهَا!.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سَبَأٌ: ٥٣]؛ أَيْ: إِذَا قِيلَ لَهُمْ: تُوبُوا، قَالُوا: سَوْفَ.

* فَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يُعَجِّلَ بِالتَّوْبَةِ؛ لِوُجُوبِ ذَلِكَ، وَلِئَلَّا: تَصِيرَ الْمَعَاصِي رَانًا عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَطَبْعًا لَا يَقْبَلُ الْمَحْوَ، أَوْ أَنْ تُعَاجِلَهُ الْمَنِيَّةُ، مُصِرًّا عَلَىٰ ذَنْبِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «بَحْرَ الدُّمُوعِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص٥٧)، وَ«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٢٨٣)، وَ«إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّيْنِ» لِلْغَزَالِيِّ (ج٤ ص٧)، وَ«قَصْرَ الْأَمَلِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص١٤١)، وَ«شَرْحَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (ج١ ص٢٨٦).

قُلْتُ: وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الصَّنِيعَ: سَفَهٌ، وَجَهْلٌ، وَغُرُورٌ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَالتَّوْبَةُ: عَنِ الذُّنُوبِ، بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ سَتَّارِ الْعُيُوبِ، وَعَلَّامِ الْغُيُوبِ، مَبْدَأُ طَرِيقِ السَّالِكِينَ، وَرَأْسُ مَالِ الْفَائِزِينَ، وَأَوَّلُ إِقْدَامِ الصَّادِقِينَ، وَمِفْتَاحُ اسْتِقَامَةِ الْمَائِلِينَ، وَمَطْلَعُ اخْتِيَارِ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجَاةُ الْمُخْلِصِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ:٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ:٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشَّمْسُ:٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأَنْفَالُ:٣٨].

فَالتَّوْبَةُ: فِي الْحَقِيقَةِ، دِينُ الْإِسْلَامِ، وَالدِّينُ كُلُّهُ: دَاخِلٌ فِي مُسَمَّىٰ: التَّوْبَةِ، وَبِهَذَا اسْتَحَقَّ التَّائِبُ: أَنْ يَكُونَ حَبِيبَ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢٢]، وَإِنَّمَا يُحِبُّ اللهُ تَعَالَىٰ: فِعْلَ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرْكَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ.

فَإِذَنِ؛ التَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

* **وَلِذَلِكَ**: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّوْبَةِ.[1]

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج٥ ص٩٠): (وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ: عَلَىٰ أَنَّ التَّوْبَةَ، فَرْضٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج١٢ ص٢٣٨): (وَلَا

(١) وَانْظُرْ: «الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج١٠ ص٣١٠).

فَرْقَ: بَيْنَ الْأُمَّةِ فِي وُجُوبِ التَّوْبَةِ، وَأَنَّهَا فَرْضٌ: مُتَعَيِّنٌ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج١٨ ص١٩٧): (وَهِيَ فَرْضٌ عَلَىٰ الْأَعْيَانِ، فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَكُلِّ الْأَزْمَانِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ» (ص٣٢٢): (الْإِجْمَاعُ: مُنْعَقِدٌ عَلَىٰ وُجُوبِ التَّوْبَةِ). اهـ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ :١٣٥].

* **فَهَذِهِ الْآيَةُ**: تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْبَةَ: وَاجِبَةٌ عَلَىٰ الْفَوْرِ، وَفِيهَا مَدْحُ الْمُسَارِعِينَ، لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَالْأَوْبَةِ.(١)

يُقَالُ: لِمَنْ خَافَ الْعِقَابَ: هُوَ صَاحِبُ: تَوْبَةٍ.

وَيُقَالُ: لِمَنْ يَتُوبُ، بِطَمَعِ التَّوَّابِ: هُوَ صَاحِبُ: إِنَابَةٍ.

وَيُقَالُ: لِمَنْ يَتُوبُ، لِمَحْضِ مُرَاعَاةِ أَمْرِ اللهِ: فَهُوَ صَاحِبُ: أَوْبَةٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النُّورُ:٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠].

---

(١) **وَقَدْ يَظْهَرُ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ**: أَنَّ التَّوْبَةَ، وَاجِبَةٌ، وُجُوبًا مُوَسَّعًا.

* **حَيْثُ يَتَصَوَّرُونَ**: أَنَّهَا مَدَىٰ الْعُمُرِ، فَيَقَعُونَ فِي التَّسْوِيفِ وَالتَّمَادِي فِي الْبِدَعِ، أَوِ الْمَعَاصِي، وَهُمَا: رُكْنَا الْإِصْرَارِ.

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (ج١٧ ص٥٩)**: (وَاتَّفَقُوا: عَلَىٰ أَنَّ التَّوْبَةَ، مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَاجِبَةٌ، وَأَنَّهَا وَاجِبَةٌ: عَلَىٰ الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، سَوَاءً كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ: صَغِيرَةً، أَوْ كَبِيرَةً). اهـ.

* **وَالتَّوْبَةُ**: مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي الشَّرْعِ، وَمِنْ شَرْطِ قَبُولِ الْعِبَادَةِ الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ فِيهَا، وَمُتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

* فَلَا تَكُونُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ تَكُونَ خَالِصَةً للهِ تَعَالَىٰ.

* **فَالْإِخْلَاصُ**: شَرْطٌ لِلتَّوْبَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٤٠٥)**: (وَشَرْطٌ فِي تَوْبَةِ الْمُنَافِقِ: الْإِخْلَاصُ؛ لِأَنَّ ذَنْبَهُ الرِّيَاءُ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «الْمُفْهِمِ» (ج٧ ص٧٠)**: (وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ؛ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَاتِ، **وَلِذَلِكَ: قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ:٨]). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ:١٤٥ و١٤٦].

* وَأَصْلُ الْإِخْلَاصِ، مِنْ أَهَمِّ الْأُصُولِ فِي الدِّينِ.

* **وَالْإِخْلَاصُ**: شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ، فَجَدِيرٌ بِهِ أَنْ يُدْرَسَ، دِرَاسَةً، عِلْمِيَّةً، لِكَي لَا يَقَعَ الْمُسْلِمُ فِي الْمَحْذُورِ، فَيَضِيعَ أَجْرُهُ، وَيَحْبَطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

* **لِذَلِكَ**: هَذَا بَحْثٌ نُقَدِّمُهُ فِي مَفْهُومِ التَّوْبَةِ، لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْأَصْلِ فِي الدِّينِ.

هَذَا وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الْكِتَابِ جَمِيعَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا الْجُهْدَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، وَأَنْ يَتَوَلَّانَا بِعَوْنِهِ وَرِعَايَتِهِ، إِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ، وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَصَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

فَوْزِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُمَيْدِيُّ الْأَثَرِيُّ

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى شُرُوطِ التَّوْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ، لِلتَّائِبِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ؛ إِلَّا بِهَا فِي الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ النُّصُوصَ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ يَرْجُو الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، وَفِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ فِي تَوْبَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، قُبِلَتْ مِنْهُ تَوْبَتُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

* وَأَمَّا مَنْ وَقَعَ الْإِيَاسُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ مِنْ قَرِيبٍ، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ فِي حَيَاتِهِ، وَجَاءَهُ الْخَوْفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهُوَ حَيٌّ، فَلَا تَوْبَةَ مَقْبُولَةٌ حِينَئِذٍ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (١) [ص:٣].

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

* **فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ أَوَّلًا**: عَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي نَشْرِهِمْ

---

(١) **وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ**: يَعْنِي: وَلَا نِدَاءَ فِي غَيْرِ حِينِ النِّدَاءِ، وَلَيْسَ الْحِينُ، حِينَ فِرَارٍ، وَلَا ذَهَابٍ، وَالنَّوْصُ: التَّأَخُّرُ، بِمَعْنَىٰ: تَأَخَّرَ كَثِيرًا عَنِ التَّوْبَةِ، حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ.

قُلْتُ: لَا مَنَاصَ لَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ، وَلَا مَهْرَبَ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ تَوْبَتَهُمْ لَا تُقْبَلُ.

وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٥ ص٢١١).

لِلْبِدَعِ، وَالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَقَدْ أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ فِي مَرَضِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ.

* **ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ ثَانِيًا**: عَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ، الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ: كُفَّارٌ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ يَعْنِي: فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِمْ، هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ: الْقُرْبِ.

* فَلَيْسَ الْقُرْبُ، هُوَ قُرْبَ الْمَوْتِ، هَذَا يُسَمَّىٰ إِدْرَاكَ الْمَوْتِ لِلْإِنْسَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧ و١٨].

* **يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ**: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعَالَىٰ التَّوْبَةَ مِمَّنْ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ، نَادِمٌ عَلَىٰ مَا فَاتَ فِي فِعْلِهِ السَّيِّئَاتِ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ فِي مَرَضِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، فَهَذَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْحَرِجَةِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا، قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، سَوَاءٌ بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْ قَصِيرَةٍ، لَا تُقْبَلُ بِمِثْلِ هَذَا، وَهُوَ قَدْ أَسْرَفَ فِي السَّيِّئَاتِ، فَأَفْسَدَ نَفْسَهُ، وَأَفْسَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْخَلْقِ، فِي طُوَالِ مُدَّةِ حَيَاتِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

---

(١) انْظُرْ: «الدُّرَّ الْمَنْثُورَ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٤ ص٢٨٠ و٢٨٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٤٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص١١١)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٦ و٥٧٧)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٥)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«بَحْرَ الْعُلُومِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٥).

[النِّسَاءُ: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

فَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا التَّوْبَةُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَبُولَهَا، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، فَالْقَبُولُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ: وَاقِعٌ، لَا مَحَالَةَ، كَمَا يَقَعُ الْفِعْلُ الْوَاجِبُ، مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِشُرُوطِ الشَّرْعِ، فَتَقَعُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمُخَالِف، الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْ قَرِيبٍ، يَعْنِي: أَثْنَاءَ حَيَاتِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ أَنْ تُحِيطَ بِهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ، فَيَهْلَكُ، فَهَذَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ، لِأَنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكَهُ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ فَمَا قَبْلَ الْمَوْتِ: قَرِيبٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: فِي الْقِيَامَةِ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥١].

قَالَ الْإِمَامُ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ» (ج٢ ص١٣٤): (وَقَدْ يَجُوزُ، أَنْ يَجِدَ وَقْتَ التَّوْبَةِ، بِمَا هُوَ: أَبْيَنُ مِنْ هَذَا، وَأَشْبَهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ التَّوْبَةَ تُقْبَلُ مَا لَمْ تَبْطُلِ الدَّوَاعِي الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِلَىٰ ضُرُوبِ الْمَعَاصِي.

* فَإِذَا بَطَلَتْ تِلْكَ الدَّوَاعِي بِسُقُوطِ الْقُوَىٰ، وَبُطْلَانِ الشَّهَوَاتِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَمَاتِ، فَقَدِ انْقَضَىٰ وَقْتُ التَّوْبَةِ). اهـ.

عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ؛ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

كَانُوا يَقُولُونَ: (كُلُّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ عَبْدٌ، فَهُوَ بِجَهَالَةٍ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٦) مِنْ طَرِيقِ بِشْرِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ: تَابِعِيٌّ كَبِيرٌ، وَفِي شُيُوخِهِ: صَحَابَةٌ، فَلَهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١ ص٦٠٥) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ، قَالَ: **(اجْتَمَعَ رَأْيُ رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ ابْنُ آدَمَ، فَهِيَ جَهَالَةٌ)**.

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» (ج٧ ص٦٥٨)، مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَلَا يَصِحُّ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩)، وَالْعَلَّامَةُ الشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ» (ج١ ص٥٠٦)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٧).

* فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَوْا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ، عُصِيَ بِهِ، فَهُوَ جَهَالَةٌ، عَمْدًا، كَانَ أَوْ خَطَأً، أَوْ غَيْرَهُمَا.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٦)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ (ج١ ص١٥١)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٥٠٦)، وَ«الدُّرَّ الْمَنْثُورَ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٤ ص٢٧٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٧).

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ مَنْ عَصَىٰ رَبَّهُ، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٤٩٩٩)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٠٧٣)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (١٤٨١)، وَابْنُ أَبِي إِيَاسٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ص٢٧٠) مِنْ طَرِيقِ عِيسَىٰ، وَشِبْلٍ، وَوَرْقَاءَ، جَمِيعُهُمْ: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩).

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ مَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَذَاكَ مِنْهُ بِجَهْلٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ شِبْلٍ، وَوَرْقَاءَ؛ كِلَاهُمَا: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ مَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَذَاكَ مِنْهُ**

بِجَهْلٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ عَصَىٰ اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٤٩٩٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، كِلَاهُمَا: عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١ و١٧٢).

قُلْتُ: فَمَنْ عَمِلَ السُّوءَ، فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمِنْ جَهَالَتِهِ: عَمِلَ السُّوءَ.(١)

وَاقْرَأْ: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يُوسُفُ:٨٩].

وَاقْرَأْ: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يُوسُفُ:٣٣].

قُلْتُ: مَنْ عَصَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ، أَوِ ابْتَدَعَ، فَهُوَ جَاهِلٌ حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَبِدْعَتِهِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (مَا دَامَ يَعْصِي اللهَ، فَهُوَ: جَاهِلٌ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ وَهْبٍ (ج١ ص١٨).

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣).

قُلْتُ: فَالْمَعَاصِي كُلُّهَا جَهَالَةٌ، فَكُلُّ مَنْ عَصَىٰ رَبَّهُ، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

* **وَنَظِيرُهَا: فِي سُورَةِ: الْأَنْعَامِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (فَهَذَا شَأْنُ التَّائِبِ مِنْ قَرِيبٍ، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ: لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَوْبَةُ اضْطِرَارٍ، لَا اخْتِيَارٍ، فَهِيَ كَالتَّوْبَةِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ بَأْسِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ

---

(١) انْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٦ و٢٧)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٥ ص٩٢)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٤٤٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص١٣٠١)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ وَهْبٍ (ج١ ص١٨).

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (مَنْ عَمِلَ ذَنْبًا، مِنْ شَيْخٍ، أَوْ شَابٍّ، فَهُوَ بِجَهَالَةٍ)**.

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ، ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيُّ، ثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (لَيْسَ مِنْ جَهَالَتِهِ، أَنْ يَعْلَمَ: حَلَالًا وَحَرَامًا، وَلَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِ حِينَ دَخَلَ فِيهِ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠٢) مِنْ طَرِيقِ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَجُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

* فَهُوَ جَاهِلٌ، حِينَ عَمِلَ بِالْمَعْصِيَةِ.

* **فَأَهْلُ الْجَهَالَةِ**: هُمْ قَوْمٌ، لَمْ يَعْلَمُوا مَا لَهُمْ مِمَّا عَلَيْهِمْ، إِلَّا فِي الْجُمْلَةِ، فَإِذَا نُصِحُوا، وَعَلِمُوا، فَلْيَخْرُجُوا مِنْهَا: فَإِنَّهَا جَهَالَةٌ، مُهْلِكَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

* فَمَنْ عَمِلَ سُوءًا خَطَأً، أَوْ إِثْمًا، أَوْ عَمْدًا، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ مِنْهُ.(١)

قَالَ الْإِمَامُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١ ص٣٦٣): (قَوْلُهُ

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص٤٠٣)، وَ«شِفَاءَ الْعَلِيلِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٧١ و١٧٢).

تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ فَكُلُّ ذَنْبٍ يَعْمَلُهُ، الْمُؤْمِنُ: فَهُوَ جَهْلٌ مِنْهُ).

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٤٦]؛ **قَالَ: (هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَ الْمَعَاصِي، فَيُحْجَزُ عَنْهَا). وَفِي رِوَايَةٍ: (هُوَ الرَّجُلُ: يُرِيدُ أَنْ يُذْنِبَ، الذَّنْبَ، فَيَذْكُرُ مَقَامَ رَبِّهِ، فَيَدَعُ الذَّنْبَ). وَفِي رِوَايَةٍ: (هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ، فَيَذْكُرُ مَقَامَهُ، فَيَنْزِعُ عَنْهَا).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (ص٤٦)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج١٣ ص٥٧٠)، وَهَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» (٨٩٩)، وَ(٩٠٠)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٣٨)، وَ(٧٣٩)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص١٤٦)، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «السُّنَنِ» (ج٧ ص٥١٠ و٥١١)، وَنِفْطَوَيْه فِي «مَسْأَلَةِ سُبْحَانَهُ» (٩)، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (١٣٥)، وَ(١٣٦)، وَابْنُ حَجَرٍ فِي «تَغْلِيقِ التَّعْلِيقِ» (ج٤ ص٣٣١)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٦٥)، وَالدِّينَوَرِيُّ فِي «الْمُجَالَسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» (١٣٣١)، وَأَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ فِي «الْوَرَعِ» (٣٧٢)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٢٢ ص٢٣٦)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٣ ص٢٨١)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «مُشْكِلِ الْآثَارِ» (ج١٠ ص١٦٠ و١٦١)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «ذَمِّ الْهَوَىٰ» (٤٧٣) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، وَالْأَعْمَشِ، وَمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، جَمِيعُهُمْ: عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٦ ص١٤٦).

قُلْتُ: فَإِنَّمَا التَّوْبَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالرُّجُوعِ عَنِ الذَّنْبِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ بِالْقَوْلِ فَقَطْ.

* **فَاللهُ تَعَالَىٰ**: أَمْهَلَكَ، وَلَمْ يُهْمِلْكَ.

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٩): (وَأَوْلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ: بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: تَأْوِيلُهَا: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ، لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ، وَعَمَلُهُمُ السُّوءَ: هُوَ الْجَهَالَةُ، الَّتِي جَهِلُوهَا: عَامِدِينَ كَانُوا: لِلْإِثْمِ، أَوْ جَاهِلِينَ). اهـ.

قُلْتُ: فَمِنْ جَهَالَتِهِ، عَمِلَ السُّوءَ، وَتَابَ مِنْهُ من قَرِيبٍ، أَيْ: فِي حَيَاتِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

قُلْتُ: فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ، إِلَّا وَهُوَ عَازِمٌ عَلَىٰ التَّوْبَةِ.

* فَإِذَا أَسَأْتَ سَيِّئَةً فِي سَرِيرَةٍ، فَأَحْسِنْ حَسَنَةً فِي سَرِيرَةٍ.

* وَإِذَا أَسَأْتَ سَيِّئَةً فِي عَلَانِيَةٍ، فَأَحْسِنْ حَسَنَةً فِي عَلَانِيَةٍ، لِكَي تَكُونَ هَذِهِ، بِهَذِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بَعْدَ ذَلِكَ**: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٨]؛ **فَحَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَغْفِرَةَ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ، وَأَرْجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ، فَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» (٤٧٩)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٢٠)، وَ(٥٤٢٣)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٧) مِنْ طَرِيقِ

عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٢ ص٤٦١).

* فَفَرَّقَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هُنَا، بَيْنَ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَأَهْلِ الْبِدَعِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِمَّنْ وَقَعَ فِي الذُّنُوبِ.

* فَأَهْلُ الْكُفْرِ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ، لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، إِذَا أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ.

* وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، فَهُمْ، لَهُمْ تَوْبَةٌ، لِأَنَّهُمْ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ.

قُلْتُ: وَهَذَا مَفْهُومٌ فِي الْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا وَالَّذِينَ قَبْلَهُمْ فِي مَعْنًىٰ وَاحِدٍ، مِنْ أَنَّ جَمِيعَهُمْ لَيْسُوا لَهُمْ تَوْبَةٌ، فَلَا وَجْهَ لِتَفْرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي حُكْمِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَلَائِيُّ فِي «الْأَمَالِي الْأَرْبَعِينَ» (ج١ ص٣٤١)؛ وَهُوَ يُعَلِّقُ عَلَىٰ حَدِيثٍ، فِي فَضْلِ: «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**»، يَعْنِي: الْخُلُودَ فِي النَّارِ، جَمْعًا: بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْأُخَرِ، الدَّالَّةِ عَلَىٰ عِقَابِ، بَعْضِ الْمُوَحِّدِينَ). اهـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ فِي مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ، وَيَسْتَحِلَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ).[1]

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٤٤٩)، وَ(٦٥٣٤)، وَابْنُ أَبِي صَالِحٍ فِي «الْأَرْبَعِينَ فِي قَوَاعِدِ الدِّينِ» (ص٧٦).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾؛ أَيْ: رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِدَعِ، وَالْمَعَاصِي، وَأَقْلَعَ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَعَزَمَ صِدْقًا، عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، ثُمَّ أَصْلَحَ عَمَلَهُ، بِالصِّدْقِ وَالطَّاعَةِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَالْكَذِبِ، وَالْبِدْعَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْبِدَعِ، وَأَهْلَ الْمَعَاصِي فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].(١)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٥٤١): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾؛ أَيْ: رَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَقْلَعَ، وَعَزَمَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَصْلَحَ الْعَمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤]). اهـ.

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ، بَابُ: سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عَبْدِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٤].

قُلْتُ: فَكُلُّ مَنْ خَشِيَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَأَطَاعَهُ، وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ، فَهُوَ: عَالِمٌ، وَمَنْ عَصَاهُ: فَهُوَ: جَاهِلٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَرُ:٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطِرُ:٢٨].

فَهَذَا النَّصُّ: يَقْتَضِي، أَنَّ كُلَّ مَنْ خَشِيَ اللهَ تَعَالَىٰ، فَهُوَ: عَالِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَخْشَاهُ، إِلَّا

(١) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٥٤١).

عَالِمٌ.[١]

* **فَلِلْحَسَنَةِ**: نُورٌ فِي الْقَلْبِ، وَقُوَّةٌ: فِي الْبَدَنِ، وَلِلسَّيِّئَةِ: ظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَوَهْنٌ فِي الْبَدَنِ!.[٢]

وَعَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَتَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَتَكُونُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ، وَوَهْنًا فِي بَدَنِهِ).[٣]

قُلْتُ: فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ، التَّوْبَةُ وَالنَّدَمُ، وَتَكْفِيرُ مَا فَعَلَ مِنْ سَيِّئَةٍ، بِحَسَنَةٍ مَحَلَّهَا.

* **لِذَلِكَ**: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ الْوَاجِبَ، وَهُوَ أَنْ يَدْرَأَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ لِيَمْحُوَهَا، فَيَكُونَ مِمَّنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا[٤]: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ:١٠٢].

* **وَالْحَسَنَاتُ الْمُكَفِّرَةُ، لِلسَّيِّئَاتِ**: إِمَّا بِالْقَلْبِ، أَوْ بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْجَوَارِحِ.

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج٢ ص٢١٦)، وَ«شِفَاءَ الْعَلِيلِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٧١ و١٧٢).

(٢) وَانْظُرْ: «التَّوْبَةَ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص٩٩).

(٣) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (ص١٠٠).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٤) وَانْظُرْ: «مِنْهَاجَ الْقَاصِدِينَ وَمُفِيدَ الصَّادِقِينَ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٣ ص١٠٢٣)، وَ«التَّوْبَةَ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص٤٣).

قُلْتُ: فَلْتَكُنِ الْحَسَنَةُ، فِي مَحَلِّ السَّيِّئَةِ، تَمْحُهَا.

* **بِالْقَلْبِ**: فَلْيُكَفِّرْهَا: بِالتَّضَرُّعِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبِالتَّذَلُّلِ لَهُ.

* **بِاللِّسَانِ**: بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالدُّعَاءِ.

* **بِالْجَوَارِحِ**: بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، مِنْ صَلَاةٍ، وَغَيْرِهَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ» (ج٣ ص١٠٢١): (فَيَتُوبُ الْعَاصِي، وَيَسْتَقِيمُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ إِلَىٰ آخِرِ عُمُرِهِ، وَيَتَدَارَكُ مَا فَرَطَ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْعَوْدِ إِلَىٰ ذُنُوبِهِ؛ إِلَّا الزَّلَّاتِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا الْبَشَرُ فِي الْعَادَاتِ، فَهَذِهِ هِيَ: الِاسْتِقَامَةُ فِي التَّوْبَةِ، وَصَاحِبُهَا هُوَ: السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، وَاسْمُ هَذِهِ التَّوْبَةِ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَاسْمُ هَذِهِ النَّفْسُ: الْمُطْمَئِنَّةُ). اهـ.

* **فَكَيْفَ تُكْرِمُ نَفْسَكَ، أَكْرِمْ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ رَبِّكَ.**

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ» (ج٣ ص١٠٢١): (تَائِبٌ سَلَكَ: طَرِيقَ الِاسْتِقَامَةِ، فِي أُمَّهَاتِ الطَّاعَاتِ، وَكَبَائِرِ الْفَوَاحِشِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَنْ ذُنُوبٍ تَعْتَرِيهِ، لَا عَنْ عَمْدٍ، وَلَكِنَّهُ يُبْتَلَىٰ بِهَا فِي مَجَارِي أَحْوَالِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَدِّمَ عَزْمًا عَلَىٰ الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا.

* **فَكُلَّمَا أَتَىٰ شَيْئًا مِنْهَا**: لَامَ نَفْسَهُ وَنَدِمَ، وَعَزَمَ عَلَىٰ الِاحْتِرَازِ مِنْ أَسْبَابِهَا، فَهَذِهِ هِيَ النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ، لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَىٰ مَا يُسْتَحْدَثُ لَهُ مِنَ الْأَحْوَالِ الذَّمِيمَةِ، فَهَذِهِ رُتْبَةٌ عَالِيَةٌ.

أَيْضًا... وَإِنَّمَا غَايَةُ سَعْيِهِ: أَنْ يَغْلِبَ خَيْرُهُ، شَرَّهُ: حَتَّىٰ يُثَقِّلَ مِيزَانَهُ، فَتَرْجُحُ كِفَّةُ الْخَيْرَاتِ.

* فَأَمَّا أَنْ تَعْلُوَ كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَذَلِكَ بَعِيدٌ، وَهَؤُلَاءِ، لَهُمُ الْوَعْدُ، مِنَ اللهِ

تَعَالَىٰ، إِذْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النَّجْمُ:٣٢]؛ فَكُلُّ إِلْمَامٍ بِصَغِيرَةٍ، لَا عَنْ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنَ اللَّمَمِ، الْمَعْفُوِّ عَنْهُ.

* وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥]؛ فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ، مَعَ ظُلْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ لِنَدَمِهِمْ، وَلَوْمِهِمْ أَنْفُسِهِمْ عَلَيْهِ). اهـ.

وَهَذَا مِثْلُ: قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ:٥٤]؛ فَمَا وَصَفَهُمْ، بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ.

* فَابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ.

وَعَنِ الْإِمَامِ عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (الدُّنْيَا كُلُّهَا: قَرِيبٌ، وَالْمَعَاصِي كُلُّهَا جَهَالَةٌ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج٧ ص٢١٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (٤٥٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص١٣٠١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٣ ص٣٢٩)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥١٤) مِنْ طَرِيقِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ، وَعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ الدِّرْهَمِيِّ، وَالْحُسَيْنِ، أَرْبَعَتُهُمْ: عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ

فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٨٠)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١).

* فَذَكَرَ عِكْرِمَةُ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَحِلٌّ لِلتَّوْبَةِ، فَهِيَ تُقْبَلُ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ، وَفِي صِحَّتِهِ، لَا تُقْبَلُ فِي حَالِ مَرَضِهِ، أَوْ قَرِيبَ الْمَوْتِ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ.(١)

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ، قَبْلَ الْمَوْتِ، فَهُوَ قَرِيبٌ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (٦٠)، وَالدُّولَابِيُّ فِي «الْكُنَىٰ وَالْأَسْمَاءِ» (١٦٤٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٠٦) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، وَيُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ؛ كِلَاهُمَا: عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٣٧)، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٩٦)، وَ(٥٣٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٦٧٢) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

* وَالشَّيْخُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، هُوَ النَّضْرُ أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.(٢)

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

قُلْتُ: وَالشَّرْطُ الْأَكْبَرُ، فِي قَبُولِ تَوْبَةِ صَاحِبِ الذُّنُوبِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ قَرِيبٍ،

---

(١) وَانْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣).

(٢) انْظُرْ: «الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٨ ص٤٧٦ و٤٧٧).

يَعْنِي: فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِهِ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فِي حَيَاتِهِ؛ وَقَبْلَ مَوْتِهِ؛ يَعْنِي: فِي الْحَيَاةِ وَالصِّحَّةِ.(١)

فَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (وَالْقَرِيبُ قَبْلَ الْمَوْتِ، مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٠٨)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٠) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

وَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ: «مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ».

أَثَرٌ صَحِيحٌ

عَلَّقَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص١٣٠١).

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

وَقَالَ الْمُفَسِّرُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٢٧٣): (قَالَ السُّدِّيُّ، وَالْكَلْبِيُّ: الْقَرِيبُ مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ). اهـ.

وَقَالَ الْمُفَسِّرُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨): (وَقَالَ قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

---

(١) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٠)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨).

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج٢ ص١٨٤): (قَالَ السُّدِّيُّ، وَالْكَلْبِيُّ: «**الْقَرِيبُ**»؛ أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (وَقَالَ السُّدِّيُّ، وَالْكَلْبِيُّ: أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٠): (قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ثُمَّ يَتُوبُونَ فِي صِحَّتِهِمْ، قَبْلَ مَرَضِهِمْ، وَقَبْلَ مَوْتِهِمْ).

* **إِذًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ يَعْنِي: يَتُوبُونَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ، فِي أَثْنَاءِ الْحَيَاةِ، وَفِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، لَا يَتُوبُونَ فِي مَرَضٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ قَبْلَ الْمَوْتِ، أَوْ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتُ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّوْبَةَ، لَيْسَتْ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **وَالدَّلِيلُ**: عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ، يَجِبُ عَلَيْهِ، أَنْ يَتُوبَ فِي حَيَاتِهِ، وَقَبْلَ مَرَضِهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ.

* **هُوَ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)**.

حَدِيثٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢١١٣)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٤ ص٢٩٥ و٤٠٤)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (ص٦٦ و٦٧)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج٣ ص٤١٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (ج٨ ص١٣٦)، وَفِي «الْآدَابِ» (١١٩٣)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٦٧٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج١٣

ص١٨١)، وَهَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» (٨٨٥)، وَالْمَرْوَزِيُّ فِي «زَوَائِدِ الزُّهْدِ» (ص٣٨٥) مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، وَشُعْبَةَ؛ كِلَاهُمَا: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، سَمِعَ أَبَا عُبَيدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيّ ﷺ بِهِ.

* فَذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ، أَنَّ التَّوْبَةَ تَكُونُ لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا، وَهَذَا فِي الْحَيَاةِ الْمَعْرُوفَةِ، لَا قُبَيْلَ الْمَوْتِ.

* ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ، لَمْ يَذْكُرْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتُوبُ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ بِنَفْسِهِ، بَلْ ذَكَرَ ﷺ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَهَذَا أَصَحُّ.

* **وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ**: تَدُلُّ أَيْضًا، أَنَّ التَّوْبَةَ تَكُونُ أَثْنَاءَ الْحَيَاةِ، فِي الصِّحَّةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ... الْحَدِيثُ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٨ ص١٩٩ و٢٠٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢١١٣) مِنْ طَرِيقِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذِهِ التَّوْبَةُ تَكُونُ فِي حَالِ الْحَيَاةِ.

قُلْتُ: فَالَّذِي يَتُوبُ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَهَذَا تَوْبَتُهُ، مِثْلَ الَّذِي تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَمِثْلَ الَّذِي تَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عِنْدَ مُعَايَنَةِ عِقَابِ

اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قُبِلَ مِنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٠٣)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «التَّوْبَةِ» (ص٣٤)، وَفِي «تَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِ» (ص٥٧)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٢ ص٢٧٥)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (١٢٩٩)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص١٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (ج١١ ص١٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٨ ص٧٣) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١) أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

٢) أَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ، مَفْتُوحٌ إِلَىٰ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَمَنْ تَابَ قَبْلَ ذَلِكَ، قُبِلَ مِنْهُ.

٣) أَنَّ مَنْ تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

٤) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاصِي، أَوِ الْمُبْتَدِعِ، أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، بَلْ قَدْ يَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ

---

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٢٨٣ و٢٨٤)، وَ«شُعَبَ الْإِيمَانِ» لِلْبَيْهَقِيِّ (ج١٢ ص٢٦٨)، وَ«الْمِنْهَاجَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ» لِلْحَلِيمِيِّ (ج٣ ص١٣٤ و١٣٥).

شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ).[١]

* وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ، وَالنَّارَ: قَرِيبَتَانِ، لَيْسَ بَيْنَكَ، وَبَيْنَهُمَا؛ إِلَّا الْمَوْتُ.

* وَالْمَوْتُ مَا تَدْرِي مَتَىٰ يَهْجُمُ عَلَيْكَ، قَدْ يَهْجُمُ عَلَيْكَ، صَبَاحًا، أَوْ مَسَاءً، فَهُوَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِلَيكَ؛ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: طَهِّرْنِي، فَقَالَ ﷺ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ... ثُمَّ قَالَ ﷺ: لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ).[٢]

وَقَوْلُهُ ﷺ؛ عَنِ الْمَرْأَةِ الْغَامِدِيَّةِ: (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ[٣]، لَغُفِرَ لَهُ).[٤]

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١٠ ص٣١٠): (وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ تَوْبَةٍ، وَهِيَ: وَاجِبَةٌ عَلَىٰ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفُرْقَانِ» (ص٩٥): (فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ اسْتِغْنَاءَهُ مِنَ التَّوْبَةِ، إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٤٨٨).

* **وَشِرَاكُ النَّعْلِ**: هُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ إِصْبَعُ الرِّجْلِ، أَوِ الَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ ظَهْرِ الْقَدَمِ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٥١).

(٣) **الْمَكْسُ**: النَّقْصُ وَالظُّلْمُ.

وَالْمَكْسُ: دَرَاهِمُ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْ بَائِعِي السِّلَعِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٦ ص٢٢٠).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٥٣).

ذَلِكَ، دَائِمًا). اهـ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غَافِرُ: ٣].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ» (ج٣ ص٩٩٢): (بَيَانُ أَنَّ التَّوْبَةَ، إِذَا اجْتَمَعَتْ شَرَائِطُهَا، فَهِيَ: مَقْبُولَةٌ، لَا مَحَالَةَ: اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا فَهِمْتَ: مَعْنَىٰ الْقَبُولِ، لَمْ تَشُكَّ فِي أَنَّ كُلَّ تَوْبَةٍ صَحِيحَةٍ، فَهِيَ: مَقْبُولَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ خُلِقَ سَلِيمًا، فَكُلُّ مَوْلُودٍ: يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ.

* وَإِنَّمَا تَفُوتُهُ السَّلَامَةُ بِكُدُورَةٍ تَرْهَقُ وَجْهَهُ مِنْ غَبَرَةِ الذُّنُوبِ وَظُلْمَتِهَا، فَإِذَا تَابَ كُشِفَ مَا كُشِفَ، وَنَسَخَ نُورُ الْحَسَنَاتِ: ظَلَامَ السَّيِّئَاتِ، نَسْخَ النَّهَارِ اللَّيْلَ). اهـ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج٢ ص١٨٤): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ قِيلَ: مَعْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يُحِيطَ السُّوءُ بِحَسَنَاتِهِ؛ فَيُحْبِطَهَا).

قُلْتُ: وَهَذَا الْحُبُوطُ لِلْحَسَنَاتِ، يَكُونُ بِسَبَبِ، أَنَّ الْعَبْدَ يَتَعَبَّدُ بِالشِّرْكِ، وَالْبِدْعَةِ فِي حَيَاتِهِ.

* فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وَتَابَ بِزَعْمِهِ، فَلَا فَائِدَةَ مِنْ تَوْبَتِهِ هَذِهِ، لِأَنَّهُ فَاتَ وَقْتُ التَّوْبَةِ، وَحَبِطَتْ حَسَنَاتُهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ.

قُلْتُ: فَكَثْرَةُ السَّيِّئَاتِ، يُذْهِبْنَ الْحَسَنَاتِ، كَمَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «شُعَبَ الْإِيمَانِ» لِلْبَيْهَقِيِّ (ج١٢ ص٣٨٨)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٢ ص١٣٤)، وَ«تُحْفَةَ الْأَشْرَافِ» لِلْمِزِّيِّ (ج٧ ص٥)، وَ«السُّنَنَ» لِلتِّرْمِذِيِّ (ج٥ ص٢٨٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُودٌ: ١١٤].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الِاسْتِقَامَةِ» (ج١ ص٤٦٣): (التَّوْبَةُ: هِيَ جِمَاعُ الرُّجُوعِ، مِنَ السَّيِّئَاتِ، إِلَىٰ الْحَسَنَاتِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص١٩): (التَّوْبَةُ: هِيَ رُجُوعُ الْعَبْدِ، إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمُفَارَقَتُهُ لِصِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١٠ ص٣٠٤): (وَأَخْبَرَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ التَّائِبِ، أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ الْفَاقِدِ لَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَالْمَرْكَبِ، إِذَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْيَأْسِ). اهـ.

* **فَالرَّبُّ تَعَالَىٰ:** يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ أَشَدُّ الْفَرَحِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ التَّائِبَ إِذَا تَابَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٢٢].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّىٰ أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ).[1]

* **فَالْعُصَاةُ:** أَمْوَاتٌ عَلَىٰ الْأَرْضِ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾؛ يَعْنِي: لَيْسَ قَبُولَ التَّوْبَةِ،

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٣٠٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٤٤).

لِلَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَىٰ فِعْلِهِمُ الْبِدَعِ، أَوِ الْمَعَاصِي؛ ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾؛ فَلَيْسَ لِهَذَا تَوْبَةٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الْجَاثِيَةُ: ٢١].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٥٦٥):

(الْقَوْلُ: فِي تَأْوِيلِ: قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ يَعْنِي: بِقَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾؛ مَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ؛ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ إِلَّا لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ بِجَهَالَةٍ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ يَقُولُ: مَا اللهُ، بِرَاجِعٍ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُ، وَالصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْهُ.

* إِلَّا لِلَّذِينَ يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ: جَهَالَةً مِنْهُمْ، وَهُمْ: بِرَبِّهِمْ مُؤْمِنُونَ، ثُمَّ يُرَاجِعُونَ: طَاعَةَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُنِيبُونَ مِنْهُ إِلَىٰ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، مِنَ النَّدَمِ عَلَيْهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَتَرْكِ الْعَوْدِ إِلَىٰ مِثْلِهِ، مِنْ قَبْلِ نُزُولِ الْمَوْتِ بِهِمْ). اهـ.

وَعَنِ الْإِمَامِ ابْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (قَبْلَ الْمَوْتِ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٢) مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْمُفَسِّرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي «الْهِدَايَةِ إِلَىٰ بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (ج٢ ص١٢٥٨).

* وَأَمَّا أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، مِنْ غَرَقٍ، أَوْ عِقَابٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ شَنْقٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لَا تُقْبَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ، حَتَّىٰ قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحُهُ.(١)

وَيُؤَيِّدُهُ: مَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ، عَنْ فِرْعَونَ، فَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ حَيًّا، قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحُهُ فِي حَلْقِهِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].

* **فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ**: مُعَرِّفًا، فِرْعَونَ: قُبْحَ صَنِيعِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِسَاءَتَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَيَّامَ صِحَّتِهِ، وَبِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ وَفَسَادِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

* فَحَلَّ سَخَطُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَنُزُولُ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ عِنْدَ أَنْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ حَيٌّ، قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحُهُ فِي حَلْقِهِ.

* لَمَّا نَادَاهُ، وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، وَغَشِيَهُ كَرْبُ الْمَوْتِ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].

هَكَذَا: قَالَ فِرْعَونُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ

---

(١) وَانْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٠ ص٣١٣ و٣١٧)، وَ«زَادَ الْمَسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٢ ص٣٤٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٩٤).

بِالْعُبُودِيَّةِ.

* الْآنَ تُقِرُّ للهِ تَعَالَىٰ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَقَدْ عَصَيْتَهُ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ، فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ.

* فَهَلَّا، وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ، فَأَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، فَالآنَ تَدَّعِي الْإِيمَانَ حِينَ يَئِسْتَ مِنَ الْحَيَاةِ!.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].(٢)

قَالَ الْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج٢ ص١٨٥): (لَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إِيمَانٌ، وَلَا مِنْ عَاصٍ تَوْبَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غَافِرٌ: ٨٥].

* **وَلِذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ إِيمَانُ فِرْعَوْنَ**: حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾؛ أَيْ: هَيَّأْنَا وَأَعْدَدْنَا: ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٠ ص٣١٧): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١]؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مُعَرِّفًا فِرْعَوْنَ، قُبْحَ صَنِيعِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِسَاءَتَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَيَّامَ صِحَّتِهِ، بِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ،

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٠ ص٣١٣ و٣١٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٥)، وَ«زَادَ المَسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٢ ص٣٤٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٩٤).

(٢) **فَكَانَ فِرْعَوْنُ**: فِي عُمْقِ الْبَحْرِ، وَنَادَىٰ بِالتَّوْحِيدِ، فَلَمْ يَسْتَفِدْ عِنْدَمَا تَابَ، لِأَنَّهُ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي حَيَاتِهِ.

* أَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ فِي عُمْقِ بَطْنِ الْحُوتِ، فَنَادَىٰ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَابَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ.

وَمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ.

* حِينَ فَزِعَ إِلَيْهِ فِي حَالِ حُلُولِ سَخَطِهِ بِهِ، وَنُزُولِ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ.

* لَمَّا نَادَاهُ وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، وَغَشِيَتْهُ كُرَبُ الْمَوْتِ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ بِالْعُبُودِيَّةِ: الْآنَ تُقِرُّ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَقَدْ عَصَيْتَهُ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ؛ فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَهَلَّا وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ، أَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ الْآنَ مُقِرٌّ؟). اهـ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ يَعْنِي: قَبُولَ التَّوْبَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَيُقَالُ: تَوْفِيقُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا التَّجَاوُزُ مِنَ اللهِ، لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ، فَهُوَ جَاهِلٌ فِي قَوْلِهِ، وَفِعْلِهِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ، بِسَبَبِ جَهَالَتِهِ، وَهَذَا الْجَهْلُ لَا يُسْقِطُ عَنْهُ الْعَذَابَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا. (١)

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَىٰ، هِيَ أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، عَلَىٰ شَرْطِ

---

(١) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٤)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، و«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِمُجَاهِدٍ (ص١٤٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلثَّوْرِيِّ (ص٩٢)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٦ و٥٦٧)، وَ«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٦ و٢٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج١ ص٤٩٧)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٥ ص٩٢)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٧ و٣٨)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٥٠٦)، وَ«شِفَاءَ الْعَلِيلِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٧١).

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَىٰ شَرْطِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُودٌ: ١١٤].

قُلْتُ: وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةِ، لَا تَكُونُ إِلَّا أَثْنَاءَ الْحَيَاةِ، لَا قَبْلَ الْمَوْتِ بِوَقْتٍ يَسِيرٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٥]؛ أَيْ: الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ.(٢)

---

(١) فَلَيْسَت أَيُّ تَوْبَةٍ مِمَّا يَفْعَلُهَا الْآنَ أَهْلُ الْبِدَعِ، وَمِمَّا يَفْعَلُهَا أَهْلُ الْمَعَاصِي فِي هَذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَىٰ أُصُولِ الدِّينِ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ.

(٢) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٥ ص١٧٠).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٠١].

قُلْتُ: فَهَذِهِ التَّوْبَةُ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَىٰ بِفَضْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٢٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ، أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٣٠٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (١٠١٩٧)، وَفِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٤٣٦)، وَالْعَلَائِيُّ فِي «الْأَمَالِي الْأَرْبَعِينَ فِي أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ» (ج٢ ص٤١) مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْعَلَائِيُّ فِي «الْأَمَالِي الْأَرْبَعِينَ» (ج٢ ص٤٠): (وَالنَّبِيُّ ﷺ: ثَابِتُ الْعِصْمَةِ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُ قَطْعًا مَا يَقْتَضِي التَّوْبَةَ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ مَائَةَ مَرَّةٍ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

* **وَإِنَّمَا قَصَدَ ﷺ:** تَحْرِيضَهُمْ عَلَىٰ التَّوْبَةِ بِالتَّأَسِّي بِهِ ﷺ، وَعَبَّرَ بِالتَّوْبَةِ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ الَّذِي كَانَ يُكْثِرُ مِنْهُ). اهـ.

* **فَاسْتِغْفَارُهُ ﷺ:** هَذَا إِنَّمَا لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالِافْتِقَارِ، وَمُلَازَمَةِ الْخُضُوعِ،

وَالشُّكْرِ لِمَا أَوْلَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ.[١]

قُلْتُ: وَبِالْجُمْلَةِ: فَأُمَّتُهُ ﷺ، أَحْوَجُ إِلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ مِنْهُ وَالتَّوْبَةِ، لِفَقْدِ الْعِصْمَةِ فِيهِمْ.

* فَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَأَهْلِ الْمَعَاصِي، حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ، فَوَقَعَ عَلَيْهِ: مَرَضٌ، أَوْ غَرَقٌ، أَوْ قَتْلٌ، أَوْ عَذَابٌ، أَوْ خَوْفٌ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، قَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، فَحِينَئِذٍ: لَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إِيمَانُهُ، وَلَا مِنْ مُبْتَدِعٍ تَوْبَتُهُ، وَلَا مِنْ مُشْرِكٍ تَوْبَتُهُ، وَلَا مِنْ عَاصٍ تَوْبَتُهُ، بَعْدَ أَنْ أَفْسَدُوا النَّاسَ فِي الْبُلْدَانِ، لِنَشْرِهِمُ الْبَاطِلَ بَيْنَهُمْ فِي طُوَالِ حَيَاتِهِمْ، ثُمَّ فِي مَرَضِهِمْ: مَثَلًا، قَالُوا تُبْنَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ!.[٢]

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ يَعْنِي: لَيْسَ قَبُولُ التَّوْبَةِ، لِلَّذِينَ أَصَرُّوا، وَعَانَدُوا عَلَىٰ فِعْلِهِمُ الْبِدَعَ، أَوِ الْمَعَاصِيَ، فَهَؤُلَاءِ: لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].[٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٨].

---

(١) انْظُرْ: «الْأَمَالِيَّ الْأَرْبَعِينَ فِي أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ» لِلْعَلَائِيِّ (ج٢ ص٤٢)، وَ«مِنْهَاجَ الْقَاصِدِينَ وَمُفِيدَ الصَّادِقِينَ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٣ ص٩٨١)، وَ«الْحَدَائِقَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالزُّهْدِيَّاتِ» لَهُ (ج٣ ص١٧٠).

(٢) وَانْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣ و٢٧٥)، وَ«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٧ و٢٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلْخَازِنِ (ج١ ص٤٩٨)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٠ و٥٧٥)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٤٣٩)، وَ«التَّفْسِيرَ الْكَبِيرَ» لِلرَّازِيِّ (ج١٠ ص٤ و١٣)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤).

(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٤).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٣].

قُلْتُ: وَأَهْلُ الْكُفْرِ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ، هَؤُلَاءِ: أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ التَّوْبَةِ.

* **وَاللهُ تَعَالَىٰ**: لَا يَقْبَلُ مِنْهُمُ التَّوْبَةَ؛ إِذَا قَارَبَهُمُ الْمَوْتُ، بِسَبَبِ مَرَضٍ، أَوْ غَيْرِهِ.(١)

قُلْتُ: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ مِنْ أَهْلِ الْإِصْرَارِ، وَالْعِنَادِ، وَالْفَسَادِ فِي حَيَاتِهِمُ الطَّوِيلَةِ، حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ، وَأَدْرَكَهُ الْهَلَاكُ، قَالَ أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ، وَقَدْ غُلِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ غَيْرِهِ، حَتَّىٰ لَوْ كَانَ حَيًّا بِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ(٢) قَبْلَ الْمَوْتِ، فَهَذَا تَبَيَّنَ هَلَاكُهُ فِيهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ تَوْبَةً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

وَعَنِ الْإِمَامِ ابْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: (إِذَا تَبَيَّنَ الْمَوْتُ فِيهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ تَوْبَةً)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٥) مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

---

(١) وَانْظُرْ: «مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣).

(٢) مَثَلًا؛ بِثَلَاثَةِ شُهُورٍ، أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ مَرَضِ مَوْتِهِ، فَهَذَا هَالِكٌ، لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ، فَقَدْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ.

* فَلَيْسَ لِهَذَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ تَوْبَةٌ.(١)

وَالصَّوَابُ: قَوْلُ مَنْ قَالَ، تَأْوِيلُهُ: ثُمَّ يَتُوبُونَ قَبْلَ مَمَاتِهِمْ، فِي الْحَالِ الَّتِي يَفْهَمُونَ فِيهَا أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَنَهْيَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يُغْلَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، وَهُمْ فِي صِحَّتِهِمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِمْ.

* وَقَبْلَ حَالِ اشْتِغَالِهِمْ بِكَرْبِ مَرَضٍ، أَوْ غَرَقٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ حَرْبٍ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَفِي هَذِهِ الْحَالِ، لَا يَعْرِفُونَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَنَهْيَهُ، كَمَا يَنْبَغِي، وَلَا يَعْقِلُونَ التَّوْبَةَ عَلَىٰ شُرُوطِهَا الشَّرْعِيَّةِ.

* فَفِي هَذِهِ الْحَالِ يُدْرِكُهُمُ الْمَوْتُ، وَهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ تَوْبَةً؛ إِلَّا مِمَّنْ نَدِمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَعَزَمَ فِيهِ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ، وَهُوَ يَعْقِلُ النَّدَمَ، وَيَخْتَارُ تَرْكَ الْمُعَاوَدَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي أَثْنَاءِ الْحَيَاةِ، فِي عُمُرِهِ الطَّوِيلِ، أَمَّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ مِنْ قَرِيبٍ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَىٰ إِقَامَةِ هَذِهِ الشُّرُوطِ فِي التَّوْبَةِ.

* فَإِذَا كَانَ بِكَرْبِ الْمَوْتِ مَشْغُولًا، وَبِغَمِّ الْبَلَاءِ أَوِ الْعَذَابِ مَغْمُورًا، فَلَا إِخَالُهُ إِلَّا عَنْ إِقَامَةِ شُرُوطِ التَّوْبَةِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ مَغْلُوبًا، فَهَذِهِ التَّوْبَةُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.(٢)

---

(١) فَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، مَا لَمْ يُغْلَبِ الْعَبْدُ بِهَلَاكٍ فِي حَيَاتِهِ، مِثْلَ: مَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ، عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].

(٢) فَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ فِي تِلْكَ الْحَالِ، يَعْقِلُ عَقْلَ الصَّحِيحِ، وَيَفْهَمُ فَهْمَ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ، فَأَحْدَثَ إِنَابَةً مِنْ ذُنُوبِهِ، وَرَجْعَةً مِنْ شُرُورِهِ عَنْ رَبِّهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

* كَانَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِمَّنْ دَخَلَ فِي وَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ الَّذِي وَعَدَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ =

وَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ النِّفَاقِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٨٩٧ و٩٠٠ و٩٠١)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (١٤٧٩)، وَ(١٤٨٨)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٢٧٩) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَهُوَ مُتَابَعٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١ و١٧٢).

* **فَنَزَلَتِ الْأُولَىٰ**: فِي الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

* **وَنَزَلَتِ الْوُسْطَىٰ**: فِي الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُبْتَدِعِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

***وَنَزَلَتِ الْأُخْرَىٰ**: فِي الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا الَّذِينَ

عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].[١]

قُلْتُ: وَمَعْنَىٰ الْآيَاتِ: لَا تَوْبَةَ لِكَافِرٍ، وَلَا مُشْرِكٍ، وَلَا مُبْتَدِعٍ، وَلَا عَاصٍ، إِذَا تَابَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ، أَوِ الْمَرَضِ، أَوِ الْهَلَاكِ، مَا دَامَ هُوَ مُعَانِدٌ، وَمُصِرٌّ، وَيُعَادِي فِي طُوَالِ حَيَاتِهِ.[٢]

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ قَالَ: سَأَلْت سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: (الشِّرْكُ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠٨ و٤٠٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

* **فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ**: ذَكَرُوا أَحْسَنَ أَوْقَاتِ التَّوْبَةِ، وَشُرُوطِهَا فِي أَثْنَاءِ الْحَيَاةِ.

* **وَلَيْسَ كَمَا قَالَ**: الْمُتَأَخِّرُونَ، وَقَدْ حَدَّدُوا آخِرَ وَقْتِهَا، وَهُوَ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَقَدْ أَخْطَئُوا فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ لَهَا آخِرُ وَقْتٍ، بَعْدَ حُضُورِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ.

قُلْتُ: الْمَرِيضُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، كَمَا قِيلَ: مَا لَمْ يُغَرْغِرْ، أَوْ كَانَ فِي مَرَضِهِ الْمَخُوفِ، أَوْ حُضُورِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ، فَلَا تَصِحُّ تَوْبَتُهُ، لِأَنَّهَا تَوْبَةُ اضْطِرَارٍ، لَا اخْتِيَارٍ.

---

(١) وَانْظُرْ: «الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٧ و٢٨)، وَ«بَحْرَ الْعُلُومِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٥)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ الْمُنْذِرِ (ج٢ ص٦٠٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ (ج١ ص٣٥٥)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥١٨).

(٢) **فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ**: وَعْظِ الْقُرْآنِ لَهُ، وَلَا نُصْحِ السُّنَّةِ لَهُ، وَلَا إِرْشَادِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَهُ، فَهُوَ مُكَابِرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَهَذَا أَنَّىٰ لَهُ التَّوْبَةُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (فَهَذَا شَأْنُ التَّائِبِ مِنْ قَرِيبٍ، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ: لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَوْبَةُ اضْطِرَارٍ، لَا اخْتِيَارٍ، فَهِيَ كَالتَّوْبَةِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ بَأْسِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].(١)

* **ثُمَّ خَوَّفَهُمْ**: مَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ، قَبْلَهُمْ بِسَبَبِ: مُخَالَفَتِهِمْ لِلرُّسُلِ، وَتَكْذِيبَهُمُ: الْكُتُبِ، الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾؛ أَيْ: مِنْ أُمَّةٍ مُكَذِّبَةٍ؛ ﴿فَنَادَوْا﴾؛ أَيْ: حِينَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ، اسْتَغَاثُوا، وَجَأَرُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **وَلَيْسَ ذَلِكَ**: بِمُجْدٍ عَنْهُمْ: شَيْئًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ:١٢]؛ أَيْ: يَهْرُبُونَ: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ١٣].(٢)

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ

---

(١) **وَكَلِمَةُ**: «**لاتَ**»، هِيَ: «**لا**»، الَّتِي لِلنَّفْيِ، زِيدَتْ مَعَهَا: «**التَّاءُ**».

مِثْلَمَا: زِيدَتْ فِي «**ثُمَّ**»، فَيَقُولُونَ: «**ثُمَّتْ**»، وَهِيَ مَفْصُولَةٌ، وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا.

وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٤٠٧).

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٤٠٧).

مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غَافِرُ: ٨٣-٨٥]

قُلْتُ: وَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ، لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَافْهَمْ هَذَا.(١)

* **فَجَاءَتْ هَؤُلَاءِ**: الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِالْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَاتِ، مِنْ حُجَجِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ.

* **فَفَرِحُوا**: جَهْلًا، مِنْهُمْ: بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ غَيْرِ نَافِعٍ، وَبِسَبَبِهِ: أَصَرُّوا عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالْبِدَعِ، وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي فِي طُوَالِ حَيَاتِهِمْ، وَحَارَبُوا الْحَقَّ، وَعَانَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ.

* فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِمْ، نَادَوْا بِالتَّوْبَةِ، فَتَابُوا مِنْ إِجْرَامِهِمْ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ تَوْبَتُهُمْ، بَعْدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ لَهُمْ.

* **فَلَمْ يَقْبَلِ اللهُ تَعَالَىٰ**: تَوْبَتَهُمْ هَذِهِ، وَإِنْ تَابُوا بِزَعْمِهِمْ.

* وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَأَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ هَذِهِ الْمَزْعُومَةَ، لِأَنَّهُمْ: مِنْ أَهْلِ الِاخْتِلَافِ، وَمِنْ أَهْلِ التَّقْلِيدِ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِنَادِ، لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.(٢)

* **فَهَذَا الْهَالِكُ**: أَلْقَىٰ نَفْسَهُ فِي الْمَهَالِكِ الْمُحَرَّمَةِ، فِي طُوَالِ حَيَاتِهِ، وَهُوَ مُصِرٌّ فِي عَدَمِ تَرْكِهَا، وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ حَذَّرَهُ أَنْ يُلْقِيَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ

---

(١) انْظُرْ: «الْقَوَاعِدَ الْحِسَانَ» لِلشَّيْخِ السِّعْدِيِّ (ص١٨)

(٢) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٢١ ص٤٢٣ و٤٢٤).

فِي الْمَهَالِكِ، فَهُوَ: لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَوْ أَسْمَعَهُ لَتَوَلَّىٰ وَهُوَ مُعْرِضٌ، وَمُعَانِدٌ، فَهَلَكَ وَلَا بُدَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٩٥].

* وَمِنَ التَّهْلُكَةِ، أَنْ يُهْمِلَ الْعَبْدُ التَّوْبَةَ فِي حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، مِنْ مَرَضٍ، وَغَيرِهِ، قَالَ: تُبْتُ الْآنَ، هَذَا أَلْقَىٰ نَفْسَهُ فِي التَّهْلُكَةِ، وَهَلَكَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأَنْفَالُ: ٢٣].

وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ(١) لَوْ رَزَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ الْفَهْمَ لِمَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ فِي حِيَاتِهِمْ.(٢)

*** وَلَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ فِي، حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَىٰ رَاهِبًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ... الْحَدِيثُ).**

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص١٤٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص١١٩)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «سُنَنِهِ» (٢٦٢٢)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «التَّوْبَةِ» (ص٣١)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٣ ص٢٠ و٧٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج٣ ص١٨٨) مِنْ طَرِيقِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَىٰ، وَشُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِي، عَنْ

---

(١) وَهَذَا شَأْنُ أَهْلَ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَأَهْلَ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ، لَنْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَلَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، إِلَّا إِذَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمُ الْمَشِينَةَ.

(٢) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٤ ص٤٦١).

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ بِهِ.

* **فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ**: تَابَ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِأَسْبَابِ الْمَوْتِ، مِنْ مَرَضٍ، وَغَيرِهِ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ سَوْفَ يَمُوتُ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ تَائِبٌ، فَقُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَغُفِرَ لَهُ.

* **وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ: فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ، أَوِ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ، أَوْ بَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ، أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا)**.[1]

فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ... فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»؛ فَهَذَا الْقَوْلُ، حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، لا لَهُمْ.

وَذَلِكَ: أَنَّ هَذَا التَّائِبَ، تَابَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ سَوْفَ يَمُوتُ.

* **فَلَا يَدُلُّ الْحَدِيثُ**: أَنَّهُ عِنْدَمَا قَرُبَ مِنْهُ الْمَوْتُ تَابَ، فَسَبَقَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ بِقُرْبِ الْمَوْتِ، ثُمَّ مَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَهُوَ لَا يَدْرِي بِذَلِكَ كُلِّهِ.

* **فَيَدُلُّ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ**: أَنَّ هَذَا التَّائِبَ، تَابَ فِي حَيَاتِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ مَتَىٰ يَمُوتُ، فَسَبَقَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فِي حَيَاتِهِ، عَلَىٰ مَا اسْتَقَامَ فِي تَوْبَتِهِ، إِلَىٰ أَنْ مَاتَ عَلَىٰ هَذِهِ الِاسْتِقَامَةِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٥٩٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٦٤٣)، وَالْفِرْيَابِيُّ فِي «الْقَدَرِ» (ص٢٧٠ و٢٧١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (١١١٨٢)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٧ ص٤٨ و٤٩)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (١٣٩٧)، وَالشَّاشِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٨٣)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «مُشْكِلِ الْآثَارِ» (٣٨٦٧).

فِي الدِّينِ.[1]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

وَلَاتَ: لَيْسَ.

حِينَ: وَقْتَ.

مَنَاصٍ: هُرُوبٍ.

* **أَيْ:** لَيْسَ وَقْتَ هُرُوبٍ الْآنَ، وَلَيْسَ بِحِينِ جَزْعٍ، وَلَا وَقْتَ نِدَاءٍ، وَلَا فِرَارٍ.[2]

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٠): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا﴾؛ يَقُولُ: فَعَجُّوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَضَجُّوا وَاسْتَغَاثُوا بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ، حِينَ نَزَلَ بِهِمْ بَأْسُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَايَنُوا بِهِ عَذَابَهُ، فِرَارًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَرَبًا مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾؛ يَقُولُ: وَلَيْسَ ذَلِكَ: حِينَ فِرَارٍ، وَلَا هَرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَتَابُوا حِينَ لَا تَنْفَعُهُمُ التَّوْبَةُ، وَاسْتَقَالُوا فِي غَيْرِ وَقْتِ الْإِقَالَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَنَاصٍ﴾؛ مَفْعَلٌ مِنَ النَّوْصِ، وَالنَّوْصُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأَخُّرُ،

---

(١) وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الصِّنْفَ -خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَانِ- لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ الْعَرِيضِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ الْعِنَادِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ الذُّنُوبِ.

* **بَلْ ظَاهِرُ هَذَا:** أَنَّ فَسَادَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَغَيْرُ مُعَانِدٍ عَلَىٰ الذُّنُوبِ، فَتَابَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدِّينِ.

(٢) انْظُرْ: «الدُّرَّ الْمَنْثُورَ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج١٢ ص٤٠٤ و٤٠٥ و٤٠٦)، وَ«الْإِتْقَانَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لَهُ (ج٢ ص٤٠)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٥ ص٢١٣ و٢١٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج١٤ ص٢٥٦)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٤٠٧).

وَالْمَنَاصُ: الْمَفَرُّ). اهـ.

* **وَنُصِبَ**: «**حِينَ**»، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، تَشْبِيهًا، لِـ«**لَاتَ**»، بِـ«**لَيْسَ**»، وَأُضْمِرَ فِيهَا اسْمُ: «**الْفَاعِلِ**».

* **وَالْكَلَامُ**: أَنْ يُنْصَبَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَىٰ: «**لَيْسَ**».

* **وَالْوَقْفُ عَلَيْهِ**: «**وَلَاتْ**»، بِالتَّاءِ، ثُمَّ يُبْتَدَأُ: «**حِينَ مَنَاصٍ**».

* **فَهِيَ**: إِنَّمَا، هِيَ: «**لَا**»، الَّتِي؛ بِمَعْنَىٰ: «**مَا**»، وَ«**إِنَّ**»، فِي الْجَحْدِ، وُصِلَتْ بِـ«**التَّاءِ**»، كَمَا وُصِلَتْ، «**ثُمَّ**»، بِهَا، فَقِيلَ: «**ثُمَّتْ**»، وَكَمَا وُصِلَتْ: «**رُبَّ**»، فَقِيلَ: «**رُبَّتْ**»، فَـ: «**لَا**»، حَرْفُ جَحْدٍ. (١)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧): (وَهَذِهِ الْكَلِمَة، وَهِيَ: «**لَاتَ**»، هِيَ: «**لَا**» الَّتِي لِلنَّفْيِ، زِيدَتْ مَعَهَا: «**التَّاءُ**»... وَهِيَ مَفْصُولَةٌ، وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا). اهـ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (لَيْسَ بِحِينِ نِدَاءٍ، وَلَا نَزْوٍ، وَلَا فِرَارٍ). وَفِي رِوَايَةٍ: (ضُبِطَ الْقَوْمُ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١١)، وَأَبُو حَاتِمٍ فِي «الزُّهْدِ» (٣٦)، وَالْحَرْبِيُّ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (ج٢ ص٨٢٩)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج٢ ص٤٧٠)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٦٠) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، وَإِسْرَائِيلَ، وَشُعْبَةَ، ثَلَاثَتُهُمْ: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَرْبِدَةَ التَّمِيمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ: ابْنَ

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٥ ص٢١٣ و٢١٤).

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» (ج١ ص١٧٠)؛ عَنِ التَّمِيمِيِّ: «الْمُفَسِّرُ».

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «التَّقْرِيبِ» (ص١٠٢): «أَرْبِدَةُ التَّمِيمِيُّ: الْمُفَسِّرُ، صَدُوقٌ، مِنَ الثَّالِثَةِ».

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٥٠٤).

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١١ و٢١٢) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ التَّمِيمِيِّ، **قَالَ: سَأَلْتُ: ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ**: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (لَيْسَ حِينَ نَزْوٍ، وَلَا فِرَارٍ)**.

أَثَرٌ حَسَنٌ

قُلْتُ: وَإِسْنَادُهُ تُوبِعَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (لَيْسَ حِينَ مَغَاثٍ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٢)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١٤ ص٢٥٦) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٥٠٥).

وَذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُ الْمَاوَرْدِيُّ فِي «النُّكَتِ وَالْعُيُونِ» (ج٥ ص٧٧).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (نَادُوا وَالنِّدَاءُ، حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١٤ ص٢٥٦) مِنْ طَرِيقِ شَبِيبِ بْنِ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٥٠٤)، وَالْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧).

وَعَنِ الْإِمَامِ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ: أَرَادُوا التَّوْبَةَ، فِي غَيْرِ حِينَ النِّدَاءِ). وَفِي رِوَايَةٍ: (قَالَ: نَادَىٰ الْقَوْمُ عَلَىٰ غَيْرِ حِينَ نِدَاءٍ، وَأَرَادُوا التَّوْبَةَ حِينَ عَايَنُوا عَذَابَ اللهِ، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٢)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٢٥٧٣) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، كِلَاهُمَا: عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٩٠٦).

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (لَيْسَ بِحِينِ، فِرَارٍ، وَلَا إِجَابَةٍ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٢) مِنْ طَرِيقِ عِيسَىٰ، وَوَرْقَاءَ، كِلَاهُمَا: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٥٠٤).

وَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (حِينَ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا الرُّجُوعَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَلَا فِرَارًا مِنَ الْعَذَابِ)**.

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٢) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ ابْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾

[ص:٣]؛ **قَالَ: (وَلَاتَ حِينَ مَنْجًىٰ، يَنْجُونَ مِنْهُ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٥ ص٢١٣) مِنْ طَرِيقِ يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]؛ **قَالَ: (نَادَوا بِالتَّوْحِيدِ، حِينَ تَوَلَّتِ الدُّنْيَا عَنْهُمْ، وَاسْتَنَاصُوا لِلتَّوْبَةِ، حِينَ تَوَلَّتِ الدُّنْيَا عَنْهُمْ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١٢ ص٥٠٥)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١٢ ص٥٠٥).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٤٠٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج١٢ ص٥٠٥ و٥٠٦).

وَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سَبَأٌ:٥٤]؛ **قَالَ: (التَّوْبَةُ).**[1]

---

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ» (ص٢٥٣)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٨٠٣)، وَالْمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْكَمَالِ» =

قُلْتُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَا تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ، فَإِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

* **فَإِذَا طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِ**: ابْنِ آدَمَ، فَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١٤].

وَبَوَّبَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (ج١٢ ص٤٩١)؛ فَصْلٌ: فِي الطَّبْعِ عَلَىٰ الْقَلْبِ، أَوِ الرَّيْنِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النَّحْلُ: ١٠٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [الْقِيَامَةُ: ٥]؛ **يَقُولُ**: سَوْفَ أَتُوبُ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ الْفُجُورِ فِي حَيَاتِهِ.(١)

وَعَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١٤]؛ **قَالَ: (تَدْرُونَ مَا الْإِرَانَةُ: الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، وَالذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ الْقَلْبُ)**.(٢)

(ق/ ٩٠٨/ ط).

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٢٩ ص١٧٧ و١٧٩).

(٢) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (ص١٠٠).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٦ ص٢٢٦)، وَعَزَاهُ: لِعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ فِي «التَّفْسِيرِ».

وَعَنِ الْإِمَامِ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ: لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيَجِدُ لَهُ فِي قَلْبِهِ وَهْنًا). (١)

قُلْتُ: فَإِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ، فَلَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ، بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٧١٠٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص٢٢٠٦) مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِهِ.

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ، تُخَلِّصُكَ مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥-١٦٠].

* إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِنْ أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ؛ هُمْ: أَهْلُ الْبِدَعِ، الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ، لَا فِي قَوْلِهِ ﷺ، وَلَا فِي فِعْلِهِ.

* بَلْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيرِ عِلْمٍ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٩٥]؛ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ.

---

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (ص٧٥).

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

* **وَاللَّعْنَةُ**، الْفَعْلَةُ، مِنْ لَعْنَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، بِمَعْنَىٰ: أَقْصَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَبْعَدَهُ، وَأَسْحَقَهُ.

* **وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٨٧].

قُلْتُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَوْبَةَ: أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَتَوْبَةَ: أَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ، لَا تُقْبَلُ، إِلَّا بِشُرُوطِهَا، الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ.

* **وَهِيَ**: إِذَا تَابُوا، يَجِبُ عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصْلِحُوا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا، وَلَا يَتْرُكُوهَا فِي فَسَادِهَا الْقَدِيمِ، مِنَ الْكُفْرِ، وَالْمَعْصِيَةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِصْلَاحِهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

* ثُمَّ إِذَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ النَّافِعَ، مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِقْهِ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ بَيَّنُوا لِلنَّاسِ هَذَا الْعِلْمَ، وَنَشَرُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَإِلَّا: فَلَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٦): (هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ، عَلَىٰ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ، وَالْهُدَىٰ النَّافِعِ لِلْقُلُوبِ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ، فِي كُتُبِهِ، الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١١٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٢ ص٢٨)، وَ«أَحْكَامَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ العَرَبِيِّ (ج١ ص٥٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠).

* **ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ**: مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ، وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ كُفْرٍ، أَوْ بِدْعَةٍ؛ إِذَا تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).[1] اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٣ ص١١٩): (وَأَصْلَحَ حَالَ نَفْسِهِ، بِالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، بِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ.

* وَبَيَّنَ الَّذِي عَلِمَ مِنْ وَحْيِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ، فَلَمْ يَكْتُمْهُ، وَأَظْهَرَهُ فَلَمْ يُخْفِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ﴾؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ.

* فَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَابِ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ مَرْضَاتِي). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ **يَعْنِي**: بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ: الْمُؤْمِنِينَ.[2]

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٨٩): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥]؛ أَيْ: يُخْفُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾؛ الْبَيِّنَاتُ: جَمْعُ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ؛ وَالتَّقْدِيرُ: مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

---

(١) وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مِنَ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ، بِإِدْخَالِهِ: الْمُبْتَدِعَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَىٰ الْبِدَعِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا عَنْ ذَلِكَ.

(٢) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١٢١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَالْهُدَىٰ﴾؛ أَيْ: الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْخَلْقُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٦): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦٠]؛ الِاسْتِثْنَاءُ هُنَا: مُتَّصِلٌ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْكَاتِمِينَ.

* **يَعْنِي:** إِلَّا إِذَا تَابُوا؛ وَالتَّوْبَةُ: فِي اللُّغَةِ: الرُّجُوعُ.

* **وَفِي الشَّرْعِ:** الرُّجُوعُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

* **وَالْمُرَادُ بِالتَّوْبَةِ:** هُنَا الرُّجُوعُ عَنْ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ بَيَانِهِ، وَنَشْرِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أَيْ: أَصْلَحُوا عَمَلَهُمْ: ﴿وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: وَضَّحُوا لِلنَّاسِ مَا كَتَمُوا مِنَ الْعِلْمِ بِبَيَانِهِ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْبَيَانُ؛ إِلَّا بِبَيَانِ الْمَعْنَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾؛ يَعْنِي: الَّذِينَ تَابُوا، وَأَصْلَحُوا، وَبَيَّنُوا: ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَيْ: أَقْبَلُ مِنْهُمُ: التَّوْبَةَ؛ لِأَنَّ تَوْبَةَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ؛ لَهَا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَوْفِيقُ الْعَبْدِ لِلتَّوْبَةِ.

الثَّانِي: قَبُولُ هَذِهِ التَّوْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٨]). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٨): (مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: أَنَّ تَوْبَةَ الْكَاتِمِينَ؛ لِلْعِلْمِ، لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْبَيَانِ وَالْإِصْلَاحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ، وَهِيَ: الرُّجُوعُ عَمَّا حَصَلَ مِنَ الْكِتْمَانِ.

الثَّانِي: الْإِصْلَاحُ لَمَّا فَسَدَ بِكِتْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّ كِتْمَانَهُمُ الْحَقَّ، حَصَلَ بِهِ فَسَادٌ.

الثَّالِثُ: بَيَانُ الْحَقِّ، غَايَةَ الْبَيَانِ، وَبِهَذَا تُبَدَّلُ سِيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ). اهـ.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

١) أَنَّ كَتْمَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَيُؤْخَذُ ذَلِكَ، مِنْ تَرْتِيبِ اللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٢) الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَهْلِ التَّحْرِيفِ، الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ نَافِعٍ، وَهُوَ بَيِّنٌ، لَا خَفَاءَ فِيهِ، لِأَنَّ لَازِمَ طَرِيقِهِمْ أَلَّا يَكُونَ الْقُرْآنُ بَيَانًا لِلنَّاسِ، فَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ خِلَافَ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيَّنَ نَبِيُّهُ ﷺ فِي السُّنَّةِ.

٣) **الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ التَّفْوِيضِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ**: أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهُمْ، لَا يَعْلَمُ الْخَلْقُ مَعْنَاهَا.

* **وَقَوْلُهُمْ**: هَذَا مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ.

٤) قُبْحُ هَذَا الْكِتْمَانِ، الَّذِي سَلَكَهُ الْمُبْتَدِعَةُ؛ لِأَنَّهُ كِتْمَانٌ، بَعْدَ بَيَانٍ.

٥) أَنَّ الرُّجُوعَ فِي بَيَانِ الْحَقِّ، يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا عَنْ سُبُلِ الْمُبْتَدِعَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٦) أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ؛ الْكَاتِمِينَ، مَلْعُونُونَ؛ يَلْعَنُهُمُ اللهُ، وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.

٧) جَوَازُ الدُّعَاءِ وَاللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٥٩].

٨) وُجُوبُ نَشْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠ و١٩١).

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠٣) (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ أَيْ: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ يَلْعَنُهُمُ النَّاسُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَيَمْقُتُونَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مُبْغَضِينَ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَهُمْ: أَعْدَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أَيْ: فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَالْمُرَادُ: فِيمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ الَّتِي تَكُونُ بِسَبَبِ اللَّعْنَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أَيْ: لَا يُخَفِّفُهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ وَحُذِفَ الْفَاعِلُ، لِلْعِلْمِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أَيْ: لَا يُمْهَلُونَ، بَلْ يُؤْخَذُونَ بِالْعِقَابِ، مِنْ حِينِ مَا يَمُوتُونَ وَهُمْ فِي الْعَذَابِ). اهـ.

قُلْتُ: فَلَا يُمْهَلُونَ، لِيَعْتَذِرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُنْظَرُونَ، نَظَرَ رَحْمَةٍ، وَعِنَايَةٍ بِهِمْ، بَلْ لَيْسَ لَهُمْ؛ إِلَّا الِاحْتِقَارُ، وَالذُّلُّ.

وَيُؤَيِّدُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨]؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ احْتِقَارِهِمْ، وَازْدِرَائِهِمْ وَأَنَّهُمْ: يُوَبَّخُونَ، بِهَذَا الْقَوْلِ.[1]

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠١): (وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: عِظَمُ الْكِتْمَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ لِنَجَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ اللَّعْنَةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ: التَّوْبَةُ، وَالْإِصْلَاحُ، وَالْبَيَانُ؛ لِأَنَّ كَتْمَهُمْ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ يَتَضَمَّنُ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ، وَإِضْلَالًا لِلْخَلْقِ؛ فَتَوْبَتُهُمْ مِنْهُ لَا تَكْفِي حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا فَسَدَ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ.

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٢٠٤).

* **مِثَالُ ذَلِكَ**: قَوْمٌ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: «**لَيْسَ هُوَ بِالرَّسُولِ الَّذِي سَيُبْعَثُ**»؛ فَسَيَضِلُّ مِنَ النَّاسِ بِنَاءً عَلَىٰ قَوْلِهِمْ: عَالَمٌ؛ فَلَا يَكْفِي أَنْ يَتُوبُوا، وَيَنْدَمُوا، وَيُقْلِعُوا، وَيُسْلِمُوا، حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا أَفْسَدُوا مِنَ الْآثَارِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَىٰ كِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ؛ وَإِلَّا لَمْ تَصِحَّ التَّوْبَةُ.

* **وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ**: عِظَمُ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ حِمْلٌ ثَقِيلٌ، وَعِبْءٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ مَنْ حَمَّلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ خَطَرٍ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهِ مِنَ الْبَيَانِ؛ وَسَبَقَ أَنَّ الْبَيَانَ حِينَ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ، إِمَّا بِلِسَانِ الْحَالِ؛ وَإِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَالِ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٥): (يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: قَوْلًا، بَاطِلًا، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بُطْلَانُهُ، أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ). اهـ.

* فَالْمُصِرُّ عَلَىٰ إِفْسَادِ النَّاسِ، عَنْ طَرِيقِ دَعْوَتِهِ الْفَاسِدَةِ، وَالْمُسْتَمِرُّ بِهَا، فَهَذَا وَإِنْ تَابَ، فَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، مَا دَامَ مُصِرًّا عَلَىٰ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، وَالْإِثْمِ الْعَمِيمِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ التَّائِبِينَ، وَلَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ التَّائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي مَدْحِ التَّائِبِينَ، لِأَنَّ تَوْبَتَهُ ثَابِتَةٌ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، فَلَا تَصِحُّ؛ إِلَّا مَعَ الْإِقْلَاعِ عَنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ.(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٩): (وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؛ فَيَرْجِعُ مِنَ الشِّرْكِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الزِّنَىٰ إِلَىٰ الْعَفَافِ، وَمِنَ الِاسْتِكْبَارِ إِلَىٰ الذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَمِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الطَّاعَةِ.

* **وَشُرُوطُهَا خَمْسَةٌ**: الْإِخْلَاصُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالنَّدَمُ عَلَىٰ الذَّنْبِ،

(١) **قُلْتُ**: فَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ: مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ.

وَالْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِالتَّوْبَةِ: رِضَا اللهِ، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ خَوْفُ مَخْلُوقٍ، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: النَّدَمُ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ مِنْهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَعْنَىٰ؛ «**النَّدَمِ**»: أَنْ يَتَحَسَّرَ الْإِنْسَانُ أَنْ وَقَعَ مِنْهُ هَذَا الذَّنْبُ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ: أَدَاءُ حُقُوقِ الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ الْعِبَادِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْلِعْ، فَهُوَ لَيْسَ شَرْطًا مُسْتَقِلًّا -كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ-، وَلَكِنَّهُ شَرْطٌ دَاخِلٌ فِي الْإِقْلَاعِ، إِذْ إِنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ أَهْلِهِ؛ لَمْ يُقْلِعْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَعْزِمَ أَلَّا يَعُودَ؛ فَإِن لَمْ يَعْزِمْ: فَلَا تَوْبَةَ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّرْطِ أَنْ لَا يَعُودَ، فَإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الذَّنْبِ، لَمْ تَبْطُلْ تَوْبَتُهُ الْأُولَىٰ؛ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَجْدِيدِ التَّوْبَةِ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ تَقَعَ التَّوْبَةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ؛ يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ فِي وَقْتِ قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ: قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

* **فَإِذَا كَانَ بَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ**: لَمْ تُقْبَلْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

* **وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**: لَمْ تُقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

[الْأَنْعَامُ: ١٥٨]). اهـ.

وَمِنْهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨].

* فَإِذَا ظَهَرَتْ أَسْبَابُ الْهَلَاكِ، فَقَدِ انْقَطَعَ وَقْتُ التَّوْبَةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

لِأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالتَّوْبَةِ فِي حَالِ صِحَّتِهِ، وَفِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، إِلَّا فِي الْجُمْلَةِ، لَيْسَ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ.

قُلْتُ: فَلَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ، مِمَّنْ أَرَادَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ، لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْإِيمَانُ هَذَا، مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ الْمَوْتَ الْمُحَقَّقَ، فَفَاتَ وَقْتُ التَّوْبَةِ عَلَىٰ هَذَا الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ عَنْهَا، فَلَا تَنْفَعُهُ التَّوْبَةُ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ.

وَمِنْهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨]).[1]

قُلْتُ: فَلِلتَّوْبَةِ: وَقْتٌ، وَقَّتَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، لِيَغْتَنِمَ ذَلِكَ: مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، لِاغْتِنَامِهَا.

* وَهُوَ وَقْتٌ وَاسِعٌ يَحْوِي جَمِيعَ عُمُرِ الْإِنْسَانِ، إِلَّا مَا اسْتُثْنِيَ مِنْ وَقْتٍ يَسِيرٍ، تَنْقَطِعُ فِيهِ التَّوْبَةُ، وَلَا تُقْبَلُ، وَهُوَ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَوْتِ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ ذَلِكَ، بِالتَّفْصِيلِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٥٠٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٤٨).

قُلْتُ: فَتَكُونُ التَّوْبَةُ فِي وَقْتِ قَبُولِهَا، قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ، وَتَمْتَنِعَ التَّوْبَةُ.

إِذًا: **فَالْمُرَادُ**: **بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ**: هِيَ الَّتِي اسْتَكْمَلَتْ غَايَةَ شُرُوطِهَا، مِنَ الْإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَىٰ، وَالصِّدْقِ فِيهَا، وَتَرْكِ الذَّنْبِ، وَالنَّدَمِ عَلَىٰ فِعْلِهِ، ثُمَّ الْعَزْمِ عَلَىٰ عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ، وَتَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَتَأْدِيَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

* **فَيَجْمَعُ**: صَاحِبُهَا هَذِهِ الشُّرُوطَ بِإِخْلَاصٍ، وَصِدْقٍ، بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ عِنْدَهُ: تَرَدُّدٌ وَلَا شَكٌّ، وَلَا تَلَوُّمٌ وَلَا انْتِظَارٌ.(١)

❁ ❁ ❁

(١) وَانْظُرْ: «أَضْوَاءَ الْبَيَانِ» لِلشَّنْقِيطِيِّ (ج٥ ص٥٢١)، وَ«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٣١٦)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص١٠٥)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلشَّيْخِ السِّعْدِيِّ (ص٨٧٤)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٢١ ص٩٦ و٩٧)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٤١٤). «مِيزَانَ الِاعْتِدَالِ»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى الشُّرُوطِ الصَّحِيحَةِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْعَبْدِ التَّائِبِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ التَّوْبَةَ، هِيَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي مُسَمَّىٰ التَّوْبَةِ، فَهِيَ: اسْمٌ جَامِعٌ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لِذَلِكَ: لَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ؛ إِلَّا بِشُرُوطٍ، يَجِبُ أَنْ يُحَقِّقَهَا الْعَبْدُ التَّائِبُ، وَهِيَ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُ التَّائِبِ رِضَا اللهِ تَعَالَىٰ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ: خَوْفُ مَخْلُوقٍ مِنْ أَهْلِ الْمَنَاصِبِ[1]، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ فِي عَمَلٍ عِنْدَ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَوْ أَهْلِ الْمَعَاصِي، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ.

وَالْإِخْلَاصُ: مَصْدَرُ، أَخْلَصَ، يُخْلِصُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «خَ، لَ، صَ»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ تَنْقِيَةِ الشَّيْءِ، وَتَهْذِيبِهِ.

* **يُقَالُ:** خَلَصَ الشَّيْءُ يَخْلُصُ خُلُوصًا وَخَلَاصًا، إِذَا كَانَ قَدْ نَشِبَ، ثُمَّ نَجَا وَسَلِمَ.

* **وَيُقَالُ:** خَلَصَ فُلَانٌ إِلَىٰ فُلَانٍ؛ أَيْ: وَصَلَ إِلَيْهِ، وَخَلَصَ الشَّيْءُ: خَلَاصًا، اخْتَارَهُ.

* **وَالْخَلَاصُ يَكُونُ مَصْدَرًا لِلشَّيْءِ:** الْخَالِصِ، وَيُقَالُ: أَخْلَصَ للهِ تَعَالَىٰ: تَرَكَ

(١) **مِثْلُ:** مَا يَفْعَلُ: السُّرُورِيُّ، الْإِخْوَانِيُّ، مِنْ أَجْلِ حُصُولِ الْمَنَاصِبِ، وَالْمَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الْعَمَلَ الْبَاطِلَ، إِلَىٰ الْعَمَلِ الْحَقِّ.[١]

* **وَالْمُخْلَصُونَ**: الْمُخْتَارُونَ.

* **وَالْمُخْلِصُونَ**: الْمُوَحِّدُونَ.

* **وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ**: التَّبَرِّي عَنْ كُلِّ مَا دُونَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

* فَهَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ فِي الدِّينِ، وَإِخْلَاصُ الْمُسْلِمِينَ؛ أَيْ: أَنَّهُمْ قَدْ تَبَرَّءُوا مِمَّا يَدَّعِي أَهْلُ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، مِنَ الْبَاطِلِ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ مِنَ الضَّلَالِ.

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ الْقَصْدُ بِالْعِبَادَةِ، إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ تَعَالَىٰ بِهَا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

* وَتَخْلِيصُ الْقَلْبِ مِنْ حُبِّ الْعَمَلِ بِالْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي، وَتَصْفِيَةُ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

* فَيَفْعَلُ الْمُكَلَّفُ، الطَّاعَةَ، خَالِصَةً للهِ تَعَالَىٰ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ دِينِيٍّ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ دُنْيَوِيٍّ.

* **فَالْإِخْلَاصُ إِذًا**: إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْعِبَادَةِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.[٢]

---

(١) انْظُرْ: «المُفْرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ (ج١ ص٢٠٥)، وَ«تَهْذِيبَ اللُّغَةِ» لِلْأَزْهَرِيِّ (ج٧ ص٦٥)، وَ«مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج١ ص٣٠٨)، وَ«الْقَامُوسَ الْمُحِيطَ» لِلْفَيْرُوزَآبَادِيِّ (ج١ ص٨٣٩)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٧ ص٢٦)، وَ«الْعَينَ» لِلْفَرَاهِيدِيِّ (ج٤ ص١٨٦ و١٨٧)، وَ«الْمُحْكَمَ وَالْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ» لِابْنِ سِيدَهْ (ج٥ ص٣٧ و٣٨)، وَ«الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج٣ ص٨٧١)، وَ«تَاجَ الْعَرُوسِ» لِلزَّبِيدِيِّ (ج١٧ ص٥٥٧ و٥٦٤).

(٢) انْظُرْ: «التَّعْرِيفَاتِ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص٢٨)، وَ«الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج٧ ص٦٢٢)، وَ«الْكُلِّيَّاتِ» لِلْكَفَوِيِّ (ص٤١٤)، وَ«التَّوْقِيفَ فِي مُهِمَّاتِ التَّعَارِيفِ» لِلْمُنَاوِيِّ (ص٤٢)، وَ«قَوَاعِدَ الْأَحْكَامِ» لِلْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ (ج١ ص١٤)، وَ«إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ» لِلْغَزَالِيِّ (ج٤ ص٣٨١)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٢ ص١٥١)،

=

قَالَ اللُّغَوِيُّ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْعَيْنِ» (ج٤ ص١٨٦): (الْإِخْلَاصُ: التَّوْحِيدُ للهِ، خَالِصًا). اهـ.

وَقَالَ اللُّغَوِيُّ الْجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصِّحَاحِ» (ج٣ ص٨٧١): (الْإِخْلَاصُ: أَيْضًا فِي الطَّاعَةِ، تَرَكُ الرِّيَاءِ، وَقَدْ أَخْلَصْتُ للهِ الدِّينَ). اهـ.

وَقَالَ الْفَقِيهُ ابْنُ جُزَيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْقَوَانِينِ الْفِقْهِيَّةِ» (ص٢٨٤): (الْإِخْلَاصُ: للهِ تَعَالَىٰ، وَيُسَمَّىٰ: نِيَّةً قَصْدًا، وَهُوَ إِرَادَةُ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ: بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ: للهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُفُ: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٦].

قُلْتُ: فَالْإِخْلَاصُ هُنَا؛ بِمَعْنَىٰ: التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾؛ يَعْنِي: بِتَوْحِيدِهِمْ للهِ تَعَالَىٰ، بِالْإِخْلَاصِ.[1]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غَافِرُ: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

وَ«كَشَّافَ الْقِنَاعِ» لِلْبُهُوتِيِّ (ج١ ص٢٨٤)، وَ«رَدَّ الْمُحْتَارِ عَلَىٰ الدُّرِّ الْمُخْتَارِ» لِابْنِ عَابِدِينَ (ج٦ ص٤٢٥)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١٠ ص٥٨٩).

(١) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١ ص٥٧٢)، وَ«الْبَحْرَ الْمُحِيطَ» لِأَبِي حَيَّانَ (ج١ ص٤٧٨).

الْعَالَمِينَ﴾ [غَافِرُ: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [الْبَيِّنَةُ: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرَّعْدُ: ٢٢].

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ تَكُونُ، خَالِصَةً للهِ تَعَالَىٰ، بِلَفْظِ الِابْتِغَاءِ، وَمَرْضَاةً للهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (ج١ ص٦٦): (وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنْهَا -يَعْنِي: النِّيَّةَ- فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظِ الِابْتِغَاءِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [اللَّيْلُ: ٢٠]). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٢٧]؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْمُتَّقِينَ هُنَا: أَيِ: الْمُخْلِصِينَ، الْمُوَحِّدِينَ.(١)

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأَحْقَافُ: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأَحْقَافُ: ١٦].

قُلْتُ: فَاللهُ تَعَالَىٰ لَا يَرْضَىٰ إِلَّا الْعَمَلَ الْخَالِصَ فِي الدِّينِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الْكَهْفُ: ١١٠].

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٨ ص٢٣٧)، وَ«الْمُحَرَّرَ الْوَجِيزَ» لِابْنِ عَطِيَّةَ (ج٤ ص٤١١)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٥ ص١٦٦ و١٦٧).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [هُودٌ: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٥٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٥]؛ أَيْ: أَخْلَصَ دِينَهُ للهِ تَعَالَىٰ، بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ.(١)

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «كِفَايَةِ الطَّالِبِ» (ج١ ص٢٥٧): (الْإِخْلَاصُ: النِّيَّةُ، عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ؛ فَإِنَّ النِّيَّةَ الصَّحِيحَةَ، لَا تَكُونُ؛ إِلَّا مَعَ الْإِخْلَاصِ). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لُقْمَانُ: ٢٢].

قُلْتُ: وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَدُلُّ عَلَىٰ عِزَّةِ الْإِخْلَاصِ، وَعِظَمِ مَوْقِعِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

* **فَالْإِخْلَاصُ**: هُوَ رُوحُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ، وَلُبُّهُ، بَلْ هُوَ دِينُ اللهِ تَعَالَىٰ، الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

---

(١) وَانْظُرْ: «التَّمْهِيدَ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (ج٢٢ ص١٠٠)، وَ«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص١٣٦)، وَ«الْمُغْنِيَ» لِابْنِ قُدَامَةَ (ج٢ ص١٣٦)، وَ«الْمُبْدِعَ» لِابْنِ مُفْلِحٍ (ج١ ص١١٦)، وَ«جَامِعَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ج١ ص٢٨ و٢٩)، وَ«كِفَايَةَ الطَّالِبِ» لِلْمَالِكِيِّ (ج١ ص٢٥٧)، وَ«مُنْتَهَىٰ الْآمَالِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ص١٢١).

[النَّحْلُ: ٣٦].

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

* وَكُلُّ مَا سَبَقَ، يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ أَثَرِ الْإِخْلَاصِ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ.

* فَمِنْ شَرْطِ قَبُولِ التَّوْبَةِ، الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ فِيهَا، وَمُتَابَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

* فَلَا تَكُونُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ تَكُونَ خَالِصَةً للهِ تَعَالَىٰ، فَقَدْ يُقْلِعُ الْمَرْءُ عَنِ الْبِدْعَةِ، أَوِ الْمَعْصِيَةِ، خَوْفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَوْ حِفْظًا لِمَالِهِ، أَوْ إِبْقَاءً عَلَىٰ مَنْصِبِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا جَاءَ التَّنْصِيصُ عَلَىٰ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ فِي شَأْنِ تَوْبَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُبْتَدِعِينَ، وَالْعَاصِينَ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٥ و١٤٦].

* **إِنَّمَا نَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ**: عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَطَفَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ النِّفَاقَ مُنَاقِضٌ لِلْإِخْلَاصِ مُبَايِنٌ لَهُ، فَنَاسَبَ إِفْرَادَهُ بِالذِّكْرِ، مَعَ دُخُولِهِ فِي التَّوْبَةِ ضِمْنًا.(١)

* **فَظَهَرَ جَلِيًّا**: أَثَرُ الْإِخْلَاصِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَقَبُولِهَا، عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ حَيْثُ نَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ، عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ بِخُصُوصِهِ.

---

(١) وَانْظُرْ: «الْبَحْرَ الْمُحِيطَ» لِأَبِي حَيَّانَ (ج٤ ص١١٤)، وَ«تَيْسِيرَ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» لِلشَّيْخِ السِّعْدِيِّ (ص٢٣٠)، وَ«زَادَ الْمَسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٢ ص٢٣٥)، وَ«الْمُفْهِمَ لِمَا أُشْكِلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٧ ص٧٠).

قُلْتُ: فَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ؛ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ شُرُوطِهَا؛ مِنْهَا: الْإِخْلَاصُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السِّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَيسِيرِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص٦٦٣): (وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، بِالتَّوْبَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ: ٣١]؛ أَيْ: لَا لِمَقْصَدٍ غَيْرَ وَجْهِهِ، مِنْ سَلَامَةٍ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا، أَوْ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْفَاسِدَةِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٤٠٥): (وَشَرْطٌ فِي تَوْبَةِ: «**الْمُنَافِقِ**»، الْإِخْلَاصُ: لِأَنَّ ذَنْبَهُ الرِّيَاءُ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُفْهِمِ» (ج٧ ص٧٠): (وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ؛ إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨]). اهـ.

قُلْتُ: وَلَيْسَ الْإِخْلَاصُ، شَرْطًا: فِي تَوْبَةِ الْمُنَافِقِ فَحَسْبُ، بَلْ كُلُّ تَوْبَةٍ، مِنْ عَاصٍ، وَمُبْتَدِعٍ؛ لِأَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَكُلُّ عِبَادَةٍ: فَالْإِخْلَاصُ: شَرْطٌ؛ لِصِحَّتِهَا.

* **فَالْإِخْلَاصُ**: شَرْطٌ لِلتَّوْبَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨].

قُلْتُ: فَالتَّائِبُ يُخْلِصُ للهِ تَعَالَىٰ دِينَهُ، فِي الظَّاهِرِ، وَالْبَاطِنِ.

قُلْتُ: وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ اشْتِرَاطِ الْإِخْلَاصِ فِي التَّوْبَةِ، بِأَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ: ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَغْفِرَتِهِ، وَطَلَبًا: لِلْفَوزِ بِجَنَّتِهِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ» (ج٤ ص٩٥٢): (وَالْمُخْلِصُونَ: هُمُ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ، وَالْمَحَبَّةَ، وَالْإِجْلَالَ، وَالطَّاعَةَ للهِ تَعَالَىٰ، وَالْمُتَابَعَةَ،

وَالِانْقِيَادَ لِنُصُوصِ الْأَنْبِيَاءِ.

* فَيُجَرِّدُ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَىٰ، عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَيُجَرِّدُ مُتَابَعَةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَرْكَ مَا خَالَفَهُ؛ لِقَوْلِهِ دُونَ مُتَابَعَةِ غَيْرِهِ، فَيَزِنُ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ، بِهَذَا الْمِيزَانِ، قَبْلَ أَنْ يُوْزَنَ يَوْمَ الْقُدُومِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي حَالِ صِحَّةِ الْإِنْسَانِ؛ يَعْنِي: فِي شَبَابِهِ، وَفِي حَيَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَهُ أَسْبَابُ مَرَضِ الْمَوْتِ، وَهُوَ الْقَرِيبُ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، لَا مِنْ قَرِيبِ الْمَوْتِ.

وَإِلَيكَ الدَّلِيلَ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧ و١٨].

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ يَعْنِي: فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِمْ الْمُعْتَادَةِ، هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ: الْقُرْبِ.

* **فَلَيْسَ الْقُرْبُ:** هُوَ قُرْبُ الْمَوْتِ، هَذَا يُسَمَّىٰ: إِدْرَاكُ الْمَوْتِ؛ لِلْإِنْسَانِ.

* **فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ أَوَّلًا:** عَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، الَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي نَشْرِهِمْ لِلْبِدَعِ، وَالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَقَدْ أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ فِي مَرَضِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ.

* **ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ؛ ثَانِيًا**: عَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ، الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ: كُفَّارٌ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ يَعْنِي: فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِمْ، هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ: الْقُرْبِ.

* فَلَيْسَ الْقُرْبُ، هُوَ قُرْبَ الْمَوْتِ، هَذَا يُسَمَّىٰ إِدْرَاكَ الْمَوْتِ لِلْإِنْسَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧ و١٨].

* **يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ**: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعَالَىٰ التَّوْبَةَ مِمَّنْ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ، نَادِمٌ عَلَىٰ مَا فَاتَ فِي فِعْلِهِ السَّيِّئَاتِ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ فِي مَرَضِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، فَهَذَا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْحَرِجَةِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا، قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، سَوَاءً بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْ قَصِيرَةٍ، لَا تُقْبَلُ بِمِثْلِ هَذَا، وَهُوَ قَدْ أَسْرَفَ فِي السَّيِّئَاتِ، فَأَفْسَدَ نَفْسَهُ، وَأَفْسَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْخَلْقِ، فِي طُوَالِ مُدَّةِ حَيَاتِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

---

(١) انْظُرْ: «الدُّرَّ الْمَنْثُورَ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٤ ص٢٨٠ و٢٨٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٤٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص١١١)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٦ و٥٧٧)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٥)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«بَحْرَ الْعُلُومِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٥).

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

فَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا التَّوْبَةُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَبُولَهَا، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، فَالْقَبُولُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ: وَاقِعٌ، لَا مَحَالَةَ، كَمَا يَقَعُ الْفِعْلُ الْوَاجِبُ، مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِشُرُوطِ الشَّرْعِ، فَتَقَعُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمُخَالِفِ، الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْ قَرِيبٍ، يَعْنِي: أَثْنَاءَ حَيَاتِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ أَنْ تُحِيطَ بِهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ، فَيَهْلِكَ، فَهَذَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ، لِأَنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكَهُ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ فَمَا قَبْلَ الْمَوْتِ: قَرِيبٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: فِي الْقِيَامَةِ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥١].

قَالَ الْإِمَامُ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ» (ج٢ ص١٣٤): (وَقَدْ يَجُوزُ، أَنْ يَجِدَ وَقْتَ التَّوْبَةِ، بِمَا هُوَ: أَبْيَنُ مِنْ هَذَا، وَأَشْبَهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ التَّوْبَةَ تُقْبَلُ مَا لَمْ تَبْطُلِ الدَّوَاعِي الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِلَىٰ ضُرُوبِ الْمَعَاصِي.

* فَإِذَا بَطَلَتْ تِلْكَ الدَّوَاعِي بِسُقُوطِ الْقُوَىٰ، وَبُطْلَانِ الشَّهَوَاتِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَمَاتِ، فَقَدِ انْقَضَىٰ وَقْتُ التَّوْبَةِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (فَهَذَا شَأْنُ التَّائِبِ مِنْ قَرِيبٍ، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ: لَمْ تُقْبَلْ تُوبَتُهُ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَوْبَةُ اضْطِرَارٍ، لَا اخْتِيَارٍ، فَهِيَ كَالتَّوْبَةِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ بَأْسِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ، قَبْلَ الْمَوْتِ، فَهُوَ قَرِيبٌ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (٦٠)، وَالدُّولَابِيُّ فِي «الْكُنَىٰ وَالْأَسْمَاءِ» (١٦٤٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٠٦) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، وَيُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ؛ كِلَاهُمَا: عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٣٧)، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٩٦)، وَ(٥٣٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٦٧٢) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

* وَالشَّيْخُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، هُوَ النَّضْرُ أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.(١)

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

قُلْتُ: وَالشَّرْطُ الْأَكْبَرُ، فِي قَبُولِ تَوْبَةِ صَاحِبِ الذُّنُوبِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ قَرِيبٍ، يَعْنِي: فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِهِ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فِي حَيَاتِهِ؛ وَقَبْلَ مَوْتِهِ؛ يَعْنِي: فِي الْحَيَاةِ

(١) انْظُرِ: «الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٨ ص٤٧٦ و٤٧٧).

وَالصِّحَّةِ.(١)

فَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (وَالْقَرِيبُ قَبْلَ الْمَوْتِ، مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٠٨)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٠) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

وَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ: «مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ».

أَثَرٌ صَحِيحٌ

عَلَّقَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص١٣٠١).

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

وَقَالَ الْمُفَسِّرُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٢٧٣): (قَالَ السُّدِّيُّ، وَالْكَلْبِيُّ: الْقَرِيبُ مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ). اهـ.

وَقَالَ الْمُفَسِّرُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨): (وَقَالَ قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: مَا دَامَ فِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج٢ ص١٨٤): (قَالَ السُّدِّيُّ،

---

(١) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٠)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨).

وَالْكَلْبِيُّ: «**الْقَرِيبُ**»؛ أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (وَقَالَ السُّدِّيُّ، وَالْكَلْبِيُّ: أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٠): (قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: ثُمَّ يَتُوبُونَ فِي صِحَّتِهِمْ، قَبْلَ مَرَضِهِمْ، وَقَبْلَ مَوْتِهِمْ).

* **إِذًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ يَعْنِي: يَتُوبُونَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ، فِي أَثْنَاءِ الْحَيَاةِ، وَفِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، لَا يَتُوبُونَ فِي مَرَضٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ قَبْلَ الْمَوْتِ، أَوْ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتُ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّوْبَةَ، لَيْسَتْ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **وَالدَّلِيلُ**: عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ، يَجِبُ عَلَيْهِ، أَنْ يَتُوبَ فِي حَيَاتِهِ، وَقَبْلَ مَرَضِهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ.

* **هُوَ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)**.

حَدِيثٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢١١٣)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٤ ص٢٩٥ و٤٠٤)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (ص٦٦ و٦٧)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج٣ ص٤١٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (ج٨ ص١٣٦)، وَفِي «الْآدَابِ» (١١٩٣)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٦٧٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج١٣ ص١٨١)، وَهَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» (٨٨٥)، وَالْمَرْوَزِيُّ فِي «زَوَائِدِ الزُّهْدِ» (ص٣٨٥) مِنْ

طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، وَشُعْبَةَ؛ كِلَاهُمَا: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، سَمِعَ أَبَا عُبَيدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيّ ﷺ بِهِ.

* فَذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ، أَنَّ التَّوْبَةَ تَكُونُ لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا، وَهَذَا فِي الْحَيَاةِ الْمَعْرُوفَةِ، لَا قُبَيْلَ الْمَوْتِ.

* ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ، لَمْ يَذْكُرْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتُوبُ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ بِنَفْسِهِ، بَلْ ذَكَرَ ﷺ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَهَذَا أَصَحُّ.

* **وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ**: تَدُلُّ أَيْضًا، أَنَّ التَّوْبَةَ تَكُونُ أَثْنَاءَ الْحَيَاةِ، فِي الصِّحَّةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، فَغَفَرَ لَهُ... الْحَدِيثُ).

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٨ ص١٩٩ و٢٠٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢١١٣) مِنْ طَرِيقِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَىٰ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذِهِ التَّوْبَةُ تَكُونُ فِي حَالِ الْحَيَاةِ.

قُلْتُ: فَالَّذِي يَتُوبُ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَهَذَا تَوْبَتُهُ، مِثْلَ الَّذِي تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَمِثْلَ الَّذِي تَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عِنْدَ مُعَايَنَةِ عِقَابِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ.[1]

---

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٢٨٣ و٢٨٤)، وَ«شُعَبَ الْإِيمَانِ» لِلْبَيْهَقِيِّ (ج١٢ ص٢٦٨)، وَ«الْمِنْهَاجَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ» لِلْحَلِيمِيِّ (ج٣ ص١٣٤ و١٣٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قُبِلَ مِنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٠٣)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «التَّوْبَةِ» (ص٣٤)، وَفِي «تَعْزِيَةِ الْمُسْلِمِ» (ص٥٧)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٢ ص٢٧٥)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (١٢٩٩)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص١٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (ج١١ ص١٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٨ ص٧٣) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِهِ.

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١) أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

٢) أَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ، مَفْتُوحٌ إِلَىٰ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَمَنْ تَابَ قَبْلَ ذَلِكَ، قُبِلَ مِنْهُ.

٣) أَنَّ مَنْ تَابَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

٤) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاصِي، أَوِ الْمُبْتَدِعِ، أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، بَلْ قَدْ يَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَهَذَا مِثْلُ: قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ:٥٤]؛ فَمَا وَصَفَهُمْ، بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ.

* فَابْنُ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ.

وَعَنِ الْإِمَامِ عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (الدُّنْيَا كُلُّهَا: قَرِيبٌ، وَالْمَعَاصِي كُلُّهَا جَهَالَةٌ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج٧ ص٢١٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (٤٥٤)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص١٣٠١)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٣ ص٣٢٩)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥١٤) مِنْ طَرِيقِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ، وَعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ الدِّرْهَمِيِّ، وَالْحُسَيْنِ، أَرْبَعَتُهُمْ: عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٨٠)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١).

* فَذَكَرَ عِكْرِمَةُ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الدُّنْيَا، كُلُّهَا، مَحِلٌّ لِلتَّوْبَةِ، فَهِيَ تُقْبَلُ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ، وَفِي صِحَّتِهِ، لَا تُقْبَلُ فِي حَالِ مَرَضِهِ، أَوْ قَرِيبَ الْمَوْتِ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ.(١)

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ، قَبْلَ الْمَوْتِ، فَهُوَ قَرِيبٌ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (٦٠)، وَالدُّولَابِيُّ فِي «الْكُنَىٰ وَالْأَسْمَاءِ» (١٦٤٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٠٠٦) مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، وَيُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ؛ كِلَاهُمَا: عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

---

(١) وَانْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣).

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٣٧)، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٥٩٦)، وَ(٥٣٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٦٧٢) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

* وَالشَّيْخُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، هُوَ النَّضْرُ أَبُو لِينَةَ الْكُوفِيُّ، وَهُوَ ثِقَةٌ.(١)

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨).

قُلْتُ: وَالشَّرْطُ الْأَكْبَرُ، فِي قَبُولِ تَوْبَةِ صَاحِبِ الذُّنُوبِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ قَرِيبٍ، يَعْنِي: فِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ مَرَضِهِ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فِي حَيَاتِهِ؛ وَقَبْلَ مَوْتِهِ؛ يَعْنِي: فِي الْحَيَاةِ وَالصِّحَّةِ.(٢)

* **إِذًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ يَعْنِي: يَتُوبُونَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدٍ، فِي أَثْنَاءِ الْحَيَاةِ، وَفِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، لَا يَتُوبُونَ فِي مَرَضٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ قَبْلَ الْمَوْتِ، أَوْ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتُ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّوْبَةَ، لَيْسَتْ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

* وَأَمَّا أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، مِنْ غَرَقٍ، أَوْ عِقَابٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ شَنْقٍ، أَوْ قَتْلٍ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ، فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لَا تُقْبَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ، حَتَّىٰ قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحُهُ.(٣)

---

(١) انْظُرْ: «الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٨ ص٤٧٦ و٤٧٧).

(٢) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٧٠)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨).

(٣) وَانْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«جَامِعَ

=

وَيُؤَيِّدُهُ: مَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ، عَنْ فِرْعَونَ، فَلَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ حَيًّا، قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحَهُ فِي حَلْقِهِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].

* **فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ:** مُعَرِّفًا، فِرْعَونَ: قُبْحَ صَنِيعِهِ، أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِسَاءَتِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ، أَيَّامَ صِحَّتِهِ، وَبِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ وَفَسَادِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

* فَحَلَّ سَخَطُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَنُزُولُ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ عِنْدَ أَنْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ حَيٌّ، قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ رُوحُهُ فِي حَلْقِهِ.

* لَمَّا نَادَاهُ، وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، وَغَشِيَهُ كَرْبُ الْمَوْتِ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].

هَكَذَا: قَالَ فِرْعَونُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ بِالْعُبُودِيَّةِ.

* الْآنَ تُقِرُّ للهِ تَعَالَىٰ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَقَدْ عَصَيْتَهُ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ، فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ.

* فَهَلَّا، وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ، فَأَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ،

الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٠ ص٣١٣ و٣١٧)، وَ«زَادَ الْمَسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٢ ص٣٤٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٩٤).

فَالآنَ تَدَّعِي الْإِيمَانَ حِينَ يَئِسْتَ مِنَ الْحَيَاةِ!.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١].[٢]

قَالَ الْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ» (ج٢ ص١٨٥): (لَا يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إِيمَانٌ، وَلَا مِنْ عَاصٍ تَوْبَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غَافِرُ: ٨٥].

* **وَلِذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ إِيمَانُ فِرْعَونَ**: حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾؛ أَيْ: هَيَّأْنَا وَأَعْدَدْنَا: ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج١٠ ص٣١٧): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٩١]؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: مُعَرِّفًا فِرْعَوْنَ، قُبْحَ صَنِيعِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَإِسَاءَتِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَيَّامَ صِحَّتِهِ، بِتَمَادِيهِ فِي طُغْيَانِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ رَبَّهُ.

* حِينَ فَزِعَ إِلَيْهِ فِي حَالِ حُلُولِ سَخَطِهِ بِهِ، وَنُزُولِ عِقَابِهِ، مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ عَذَابِهِ الْوَاقِعِ بِهِ.

* لَمَّا نَادَاهُ وَقَدْ عَلَتْهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، وَغَشِيَتْهُ كُرَبُ الْمَوْتِ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ لَهُ، الْمُنْقَادِينَ بِالذِّلَّةِ لَهُ، الْمُعْتَرِفِينَ

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج١٠ ص٣١٣ و٣١٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٥)، وَ«زَادَ المَسِيرِ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ج٢ ص٣٤٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٢٩٤).

(٢) **فَكَانَ فِرْعَونُ**: فِي عُمْقِ الْبَحْرِ، وَنَادَىٰ بِالتَّوْحِيدِ، فَلَمْ يَسْتَفِدْ عِنْدَمَا تَابَ، لِأَنَّهُ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي حَيَاتِهِ.

* أَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ فِي عُمْقِ بَطْنِ الْحُوتِ، فَنَادَىٰ بِالتَّوْحِيدِ، وَتَابَ، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ.

بِالْعُبُودِيَّةِ: الْآنَ تُقِرُّ لِلَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ بِالذِّلَّةِ، وَتُخْلِصُ لَهُ الْأُلُوهَةَ، وَقَدْ عَصَيْتَهُ قَبْلَ نُزُولِ نِقْمَتِهِ بِكَ؛ فَأَسْخَطْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَهَلَّا وَأَنْتَ فِي مَهْلٍ، وَبَابُ التَّوْبَةِ لَكَ مُنْفَتِحٌ، أَقْرَرْتَ بِمَا أَنْتَ بِهِ الْآنَ مُقِرٌّ؟). اهـ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ يَعْنِي: قَبُولَ التَّوْبَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَيُقَالُ: تَوْفِيقُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا التَّجَاوُزُ مِنَ اللهِ، لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ، فَهُوَ جَاهِلٌ فِي قَوْلِهِ، وَفِعْلِهِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ، بِسَبَبِ جَهَالَتِهِ، وَهَذَا الْجَهْلُ لَا يُسْقِطُ عَنْهُ الْعَذَابَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا. (١)

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَىٰ، هِيَ أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، عَلَىٰ شَرْطِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعَلَىٰ شَرْطِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ. (٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٥].

---

(١) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٤)، وَ«الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» لِلثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)،رو«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِمُجَاهِدٍ (ص١٤٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِلثَّوْرِيِّ (ص٩٢)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٦ و٥٦٧)، وَ«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٦ و٢٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج١ ص٤٩٧)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٥ ص٩٢)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٧ و٣٨)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٥٠٦)، وَ«شِفَاءَ الْعَلِيلِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٧١).

(٢) فَلَيْسَت أَيُّ تَوْبَةٍ مِمَّا يَفْعَلُهَا الْآنَ أَهْلُ الْبِدَعِ، وَمِمَّا يَفْعَلُهَا أَهْلُ الْمَعَاصِي فِي هَذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَىٰ أُصُولِ الدِّينِ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُودٌ: ١١٤].

قُلْتُ: وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَةِ، لَا تَكُونُ إِلَّا أَثْنَاءَ الْحَيَاةِ، لَا قَبْلَ الْمَوْتِ بِوَقْتٍ يَسِيرٍ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَتَعَلَّمَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَعْمَلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ: عَنْ قَرِيبٍ، بَعْدَ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ مُبَاشَرَةً، لِيَتَدَارَكَ مَا فَاتَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ فِي الدِّينِ.

الْعِلْمُ: مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: عَلِمَ، يَعْلَمُ، عِلْمًا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «عَ»، «لَ»، «مَ»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ أَثَرٍ بِالشَّيْءِ، يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ.

* **وَيُقَالُ:** عَلِمَ، وَفَقِهَ؛ أَيْ: تَعَلَّمَ، وَتَفَقَّهَ.

* **وَعَلُمَ، وَفَقُهَ:** بِالضَّمِّ؛ أَيْ: سَادَ الْعُلَمَاءَ.(١)

(١) انْظُرْ: «مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج٤ ص١٠٩)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٥ ص٣٠٨٣ =

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُفُ: ٧٦].

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (ج٥ ص٣٠٨٣): (الْعِلْمُ: نَقِيضُ، الْجَهْلِ، وَعَلِمْتُ الشَّيْءَ، أَعْلَمُهُ، عِلْمًا: عَرَفْتُهُ). اهـ.

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّعْرِيفَاتِ» (ص١٩١): (الْعِلْمُ هُوَ: الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ الْمُطَابِقُ، لِلْوَاقِعِ). اهـ.

فَالْعِلْمُ: هُوَ الْإِدْرَاكُ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج٢ ص٤٦٩): (الْعِلْمُ، هَادٍ: وَهُوَ تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ، وَأَهْلُهُ عُصْبَتُهُمْ وَوُرَّاثُهُمْ.

* وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَأُنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ.

* **وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ**: تُوزَنُ، الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ). اهـ.

* **وَبِالْعِلْمِ**: اهْتَدَىٰ إِلَيْهِ: السَّالِكُونَ، وَمِنْ طَرِيقِهِ: وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ، وَمِنْهُ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ.

* **وَالْعِلْمُ النَّافِعُ**: هُوَ مَا كَانَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمِنَ الْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَىٰ الْخَلَفِ» (ص١٢٥): (قَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: الْعِلْمَ، تَارَةً: فِي مَقَامِ الْمَدْحِ، وَهُوَ: «**الْعِلْمُ النَّافِعُ**».

و٣٠٨٤)، وَ«الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج٥ ص١٩٩٠ و١٩٩١)، وَ«الْمُفْرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ (ص٣٤٤).

* وَذَكَرَ الْعِلْمَ، تَارَةً: فِي مَقَامِ الذَّمِّ، وَهُوَ: «**الْعِلْمُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ**».

فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَمِثْلُ، **قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَرُ:٩]، **وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٨]، **وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطِرُ:٢٨]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

* **هَذَا**: وَقَدْ يَكُونُ الْعِلْمُ فِي نَفْسِهِ، نَافِعًا: لَكِنَّ صَاحِبَهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، كَمَا **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الْجُمُعَةُ:٥]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الْأَعْرَافُ:١٧٥ و١٧٦]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الْجَاثِيَةُ:٢٣]). اهـ.

* **وَضَابِطُ الْعِلْمِ النَّافِعِ**:

الْعِلْمُ النَّافِعُ: هُوَ مَا كَانَ ضَبْطَ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَهْمَ: مَعَانِيهَا، وَالتَّقَيُّدَ فِي ذَلِكَ؛ بِالْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَتَابِعِيهِمْ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَالْأَثَرِ.(١)

وَالصَّلَاحُ: مَصْدَرُ: «**صَلَحَ**»، الشَّيْءُ: يَصْلَحُ، وَيَصْلُحُ، صَلَاحًا، وَهُوَ ضِدُّ الْفَسَادِ.

فَيُقَالُ: فِيهِ أَيْضًا، صَلَحَ، صُلُوحًا.

وَالْوَصْفُ: مِنْهُ، صَالِحٌ، وَصَلِحٌ، وَالْجَمْعُ: صُلَحَاءُ، وَصُلُوحٌ.

---

(١) وَانْظُرْ: «فَضْلَ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَىٰ عِلْمِ الْخَلَفِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ص١٥٠).

* **وَرَجُلٌ**: مُصْلِحٌ فِي أَعْمَالِهِ، وَأُمُورِهِ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ الْكَفَوِيُّ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «الْكُلِّيَّاتِ» (ص٥٦١)**: (الصَّلَاحُ: هُوَ سُلُوكُ طَرِيقِ الْهُدَىٰ). اهـ.

* **فَالصَّلَاحُ**: اسْتِقَامَةُ النَّفْسِ عَلَىٰ الدِّينِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٩٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الْجَاثِيَةُ: ٨].

---

(١) انْظُرْ: «الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج١ ص٣٨٣)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٢ ص٥١٦)، وَ«الْقَامُوسَ الْمُحِيطَ» لِلْفَيْرُوزَآبَادِيِّ (ج١ ص٢٩٣)، وَ«الْمُفْرَدَاتِ» لِلرَّاغِبِ (ص٣٨٥)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١٠ ص٥٢٦).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأَحْقَافُ: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّغَابُنُ: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٦٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الْكَهْفُ: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ مَتَابًا﴾ [الْفُرْقَانُ: ٧٠ و٧١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

قُلْتُ: فَالصَّلَاحُ نَجَاةٌ مِنَ الْإِهْلَاكِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هُودٌ: ١١٧].

* **وَالْإِصْلَاحُ:** مَصْدَرُ، أَصْلَحَ: وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «ص»، وَ«ل»، وَ«ح»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ الْفَسَادِ.

يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ، يَصْلُحُ صَلَاحًا.

وَيُقَالُ أَيْضًا: صَلَحَ، بِفَتْحِ «**اللَّامِ**»، وَالْمَصْدَرُ: صُلُوحٌ.(١)

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (ج٢ ص٥١٦): (الْإِصْلَاحُ: نَقِيضُ الْإِفْسَادِ، وَأَصْلَحَ الشَّيْءَ، بَعْدَ فَسَادِهِ: أَقَامَهُ). اهـ.

* **وَالْإِصْلَاحُ**: يَأْتِي أَحْيَانًا، بِمَعْنَىٰ: الطَّاعَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الْأَعْرَافُ: ٨٥].

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْإِصْلَاحُ هُنَا: الطَّاعَةُ، ضِدُّ الْإِفْسَادِ، وَهُوَ الْبِدْعَةُ، وَالْمَعْصِيَةُ.

قُلْتُ: وَالْإِصْلَاحُ، بَعْدَ التَّوْبَةِ مَطْمَعٌ فِي الْغُفْرَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٥٩ و١٦٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٨٦-٨٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا

---

(١) انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٢ ص٥١٦ و٥١٧)، وَ«مُخْتَارَ الصِّحَاحِ» لِلرَّازِيِّ (ص٣٦٧)، وَ«مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج٣ ص٣٠٣)، وَ«تَبْيِينَ الْحَقَائِقِ بِشَرْحِ الدَّقَائِقِ» لِلزَّيْلَعِيِّ (ج٥ ص٢٩ و٣٠).

يَفْسُقُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٤٨ و٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٥ و١٤٦].

قُلْتُ: وَيَجِبُ النَّهْيُ، عَنِ الْإِفْسَادِ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٥٠-١٥٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُودٌ: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥-١٦٠].

* إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِنْ أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ؛ هُمْ: أَهْلُ الْبِدَعِ، الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ، لَا فِي قَوْلِهِ ﷺ، وَلَا فِي

فِعْلِهِ.

* بَلْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيرِ عِلْمٍ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٩٥]؛ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ.

* **وَاللَّعْنَةُ**، الْفَعْلَةُ، مِنْ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، بِمَعْنَىٰ: أَقْصَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَبْعَدَهُ، وَأَسْحَقَهُ.

* **وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٨٧].

قُلْتُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَوْبَةَ: أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَتَوْبَةَ: أَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ، لَا تُقْبَلُ، إِلَّا بِشُرُوطِهَا، الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ.

* **وَهِيَ**: إِذَا تَابُوا، يَجِبُ عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصْلِحُوا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا، وَلَا يَتْرُكُوهَا فِي فَسَادِهَا الْقَدِيمِ، مِنَ الْكُفْرِ، وَالْمَعْصِيَةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِصْلَاحِهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

* ثُمَّ إِذَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ النَّافِعَ، مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِقْهِ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ بَيَّنُوا لِلنَّاسِ هَذَا الْعِلْمَ، وَنَشَرُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَإِلَّا: فَلَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٦): (هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ،

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١١٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٢ ص٢٨)، وَ«أَحْكَامَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ العَرَبِيِّ (ج١ ص٥٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠).

لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ، عَلَىٰ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ، وَالْهُدَىٰ النَّافِعِ لِلْقُلُوبِ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ، فِي كُتُبِهِ، التِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

* **ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ**: مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ، وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ كَفْرٍ، أَوْ بِدْعَةٍ؛ إِذَا تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).[1] اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٣ ص١١٩): (وَأَصْلَحَ حَالَ نَفْسِهِ، بِالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، بِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ.

* وَبَيَّنَ الَّذِي عَلِمَ مِنْ وَحْيِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ، فَلَمْ يَكْتُمْهُ، وَأَظْهَرَهُ فَلَمْ يُخْفِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ﴾؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ.

* فَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَابِ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ مَرْضَاتِي). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ **يَعْنِي**: بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ: الْمُؤْمِنِينَ.[2]

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢

---

(١) وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مِنَ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ، بِإِدْخَالِهِ: الْمُبْتَدِعَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَىٰ الْبِدَعِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا عَنْ ذَلِكَ.

(٢) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١٢١).

ص١٨٩): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥]؛ أَيْ: يُخْفُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾؛ الْبَيِّنَاتُ: جَمْعُ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ؛ وَالتَّقْدِيرُ: مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَالْهُدَىٰ﴾؛ أَيْ: الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْخَلْقُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٦): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦٠]؛ الِاسْتِثْنَاءُ هُنَا: مُتَّصِلٌ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْكَاتِمِينَ.

* **يَعْنِي**: إِلَّا إِذَا تَابُوا؛ وَالتَّوْبَةُ: فِي اللُّغَةِ: الرُّجُوعُ.

* **وَفِي الشَّرْعِ**: الرُّجُوعُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

* **وَالْمُرَادُ بِالتَّوْبَةِ**: هُنَا الرُّجُوعُ عَنْ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ بَيَانِهِ، وَنَشْرِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أَيْ: أَصْلَحُوا عَمَلَهُمْ: ﴿وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: وَضَّحُوا لِلنَّاسِ مَا كَتَمُوا مِنَ الْعِلْمِ بِبَيَانِهِ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْبَيَانُ؛ إِلَّا بِبَيَانِ الْمَعْنَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾؛ يَعْنِي: الَّذِينَ تَابُوا، وَأَصْلَحُوا، وَبَيَّنُوا: ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَيْ: أَقْبَلُ مِنْهُمُ: التَّوْبَةَ؛ لِأَنَّ تَوْبَةَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ؛ لَهَا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَوْفِيقُ الْعَبْدِ لِلتَّوْبَةِ.

الثَّانِي: قَبُولُ هَذِهِ التَّوْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التَّوْبَةُ:١١٨]). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢

ص١٩٨): (مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: أَنَّ تَوْبَةَ الْكَاتِمِينَ؛ لِلْعِلْمِ، لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْبَيَانِ وَالْإِصْلَاحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ، وَهِيَ: الرُّجُوعُ عَمَّا حَصَلَ مِنَ الْكِتْمَانِ.

الثَّانِي: الْإِصْلَاحُ لِمَا فَسَدَ بِكِتْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّ كِتْمَانَهُمُ الْحَقَّ، حَصَلَ بِهِ فَسَادٌ.

الثَّالِثُ: بَيَانُ الْحَقِّ، غَايَةَ الْبَيَانِ، وَبِهَذَا تُبَدَّلُ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَاتٍ). اهـ.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

١) أَنَّ كَتْمَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَيُؤْخَذُ ذَلِكَ، مِنْ تَرْتِيبِ اللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٢) الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَهْلِ التَّحْرِيفِ، الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ نَافِعٍ، وَهُوَ بَيِّنٌ، لَا خَفَاءَ فِيهِ، لِأَنَّ لَازِمَ طَرِيقِهِمْ أَلَّا يَكُونَ الْقُرْآنُ بَيَانًا لِلنَّاسِ، فَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ خِلَافَ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيَّنَ نَبِيُّهُ ﷺ فِي السُّنَّةِ.

٣) **الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ التَّفْوِيضِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ**: أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهُمْ، لَا يَعْلَمُ الْخَلْقُ مَعْنَاهَا.

* **وَقَوْلُهُمْ**: هَذَا مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ.

٤) قُبْحُ هَذَا الْكِتْمَانِ، الَّذِي سَلَكَهُ الْمُبْتَدِعَةُ؛ لِأَنَّهُ كِتْمَانٌ، بَعْدَ بَيَانٍ.

٥) أَنَّ الرُّجُوعَ فِي بَيَانِ الْحَقِّ، يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا عَنْ سُبُلِ الْمُبْتَدِعَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٦) أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ؛ الْكَاتِمِينَ، مَلْعُونُونَ؛ يَلْعَنُهُمُ اللهُ، وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.

٧) جَوَازُ الدُّعَاءِ وَاللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ

اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٥٩].

٨) وُجُوبُ نَشْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ.(١)

* **فَالْإِصْلَاحُ**: يَكُونُ بِمَحْضِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالْبَيَانُ: يَكُونُ بِبَيَانِ: فَسَادِ مَا كَانَ الْمُبْتَدِعُ(٢) عَلَيْهِ مِنَ الْبِدْعَةِ.

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠٣) (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ أَيْ: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ يَلْعَنُهُمُ النَّاسُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَيَمْقُتُونَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مُبْغَضِينَ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَهُمْ: أَعْدَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أَيْ: فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَالْمُرَادُ: فِيمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ الَّتِي تَكُونُ بِسَبَبِ اللَّعْنَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أَيْ: لَا يُخَفِّفُهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ وَحُذِفَ الْفَاعِلُ، لِلْعِلْمِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أَيْ: لَا يُمْهَلُونَ، بَلْ يُؤْخَذُونَ بِالْعِقَابِ، مِنْ حِينِ مَا يَمُوتُونَ وَهُمْ فِي الْعَذَابِ). اهـ.

قُلْتُ: فَلَا يُمْهَلُونَ، لِيَعْتَذِرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُنْظَرُونَ، نَظَرَ رَحْمَةٍ، وَعِنَايَةٍ بِهِمْ، بَلْ لَيْسَ لَهُمْ؛ إِلَّا الِاحْتِقَارُ، وَالذُّلُّ.

وَيُؤَيِّدُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨]؛ فَإِنَّ

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠ و١٩١).

(٢) لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ، يَكْتُمُ الْحَقَّ، وَيُظْهِرُ الْبَاطِلَ، فَكُلُّ مُبْتَدِعٍ، فَهُوَ كَاتِمٌ لِلْحَقِّ.

هَذَا مِنَ احْتِقَارِهِمْ، وَازْدِرَائِهِمْ وَأَنَّهُمْ: يُوَبَّخُونَ، بِهَذَا الْقَوْلِ.[1]

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠١): (وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: عِظَمُ الْكِتْمَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ لِنَجَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ اللَّعْنَةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ: التَّوْبَةُ، وَالْإِصْلَاحُ، وَالْبَيَانُ؛ لِأَنَّ كَتْمَهُمْ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ يَتَضَمَّنُ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ، وَإِضْلَالًا لِلْخَلْقِ؛ فَتَوْبَتُهُمْ مِنْهُ لَا تَكْفِي حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا فَسَدَ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ.

* **مِثَالُ ذَلِكَ**: قَوْمٌ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: «**لَيْسَ هُوَ بِالرَّسُولِ الَّذِي سَيُبْعَثُ**»؛ فَسَيَضِلُّ مِنَ النَّاسِ بِنَاءً عَلَىٰ قَوْلِهِمْ: عَالَمٌ؛ فَلَا يَكْفِي أَنْ يَتُوبُوا، وَيَنْدَمُوا، وَيُقْلِعُوا، وَيُسْلِمُوا، حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا أَفْسَدُوا مِنَ الْآثَارِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَىٰ كِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ؛ وَإِلَّا لَمْ تَصِحَّ التَّوْبَةُ.

* **وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ**: عِظَمُ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ حِمْلٌ ثَقِيلٌ، وَعِبْءٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ مَنْ حَمَّلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ خَطَرٍ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهِ مِنَ الْبَيَانِ؛ وَسَبَقَ أَنَّ الْبَيَانَ حِينَ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ، إِمَّا بِلِسَانِ الْحَالِ؛ وَإِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَالِ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٥): (يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: قَوْلًا، بَاطِلًا، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بُطْلَانُهُ، أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ). اهـ.

* فَالْمُصِرُّ عَلَىٰ إِفْسَادِ النَّاسِ، عَنْ طَرِيقِ دَعْوَتِهِ الْفَاسِدَةِ، وَالْمُسْتَمِرُّ بِهَا، فَهَذَا وَإِنْ تَابَ، فَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، مَا دَامَ مُصِرًّا عَلَىٰ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، وَالْإِثْمِ الْعَمِيمِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ التَّائِبِينَ، وَلَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ التَّائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي مَدْحِ التَّائِبِينَ، لِأَنَّ تَوْبَتَهُ ثَابِتَةٌ

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٢٠٤).

مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، فَلَا تَصِحُّ؛ إِلَّا مَعَ الْإِقْلَاعِ عَنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ.(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٩): (وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؛ فَيَرْجِعُ مِنَ الشِّرْكِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الزِّنَىٰ إِلَىٰ الْعَفَافِ، وَمِنَ الِاسْتِكْبَارِ إِلَىٰ الذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَمِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الطَّاعَةِ.

* **وَشُرُوطُهَا خَمْسَةٌ**: الْإِخْلَاصُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالنَّدَمُ عَلَىٰ الذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِالتَّوْبَةِ: رِضَا اللهِ، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ خَوْفُ مَخْلُوقٍ، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: النَّدَمُ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ مِنْهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَعْنَىٰ؛ «**النَّدَمِ**»: أَنْ يَتَحَسَّرَ الْإِنْسَانُ أَنْ وَقَعَ مِنْهُ هَذَا الذَّنْبُ.

لِذَلِكَ: لا تُقْبَلُ تَوْبَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ، إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا بِدَعَهُمْ، لِأَنَّهُمْ: يَعْلَمُونَ عِلْمًا غَيْرَ نَافِعٍ، وَيَتَعَبَّدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ؛ بِعَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ، لِأَنَّ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ، الْعِلْمَ النَّافِعَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

* فَإِذَا كَانَ بِكَرْبِ الْمَوْتِ مَشْغُولًا، وَبِغَمِّ الْبَلَاءِ أَوِ الْعَذَابِ مَغْمُورًا، فَلَا إِخَالُهُ إِلَّا

(١) **قُلْتُ**: فَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ: مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ.

عَنْ إِقَامَةِ شُرُوطِ التَّوْبَةِ عَلَىٰ ذُنُوبِهِ مَغْلُوبًا، فَهَذِهِ التَّوْبَةُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

وَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ النِّفَاقِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾؛ **قَالَ: هَذِهِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٨٩٧ و٩٠٠ و٩٠١)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (١٤٧٩)، وَ(١٤٨٨)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٢٧٩) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَهُوَ مُتَابَعٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١ و١٧٢).

* **فَنَزَلَتِ الْأُولَىٰ:** فِي الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

---

(١) فَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ فِي تِلْكَ الْحَالِ، يَعْقِلُ عَقْلَ الصَّحِيحِ، وَيَفْهَمُ فَهْمَ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ، فَأَحْدَثَ إِنَابَةً مِنْ ذُنُوبِهِ، وَرَجْعَةً مِنْ شُرُورِهِ عَنْ رَبِّهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

* كَانَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِمَّنْ دَخَلَ فِي وَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ الَّذِي وَعَدَ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

* **وَنَزَلَتِ الْوُسْطَىٰ**: فِي الْمُنَافِقِينَ، وَالْمُبْتَدِعِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

***وَنَزَلَتِ الْأُخْرَىٰ**: فِي الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].(١)

قُلْتُ: وَمَعْنَىٰ الْآيَاتِ: لَا تَوْبَةَ لِكَافِرٍ، وَلَا مُشْرِكٍ، وَلَا مُبْتَدِعٍ، وَلَا عَاصٍ، إِذَا تَابَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ، أَوِ الْمَرَضِ، أَوِ الْهَلَاكِ، مَا دَامَ هُوَ مُعَانِدٌ، وَمُصِرٌّ، وَيُعَادِي فِي طُوَالِ حَيَاتِهِ.(٢)

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ **قَالَ**: (**الشِّرْكُ**).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠٨ و٤٠٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ، ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

* بِمَا أَنَّ التَّائِبَ قَدِ اسْتَقَامَ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُمَارِسَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، يَسْعَىٰ إِلَيْهَا حَثِيثًا مُتَدَارِكًا، مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ فِي الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ،

---

(١) وَانْظُرْ: «الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٧ و٢٨)، وَ«بَحْرَ الْعُلُومِ» لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ (ج١ ص٣١٥)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ الْمُنْذِرِ (ج٢ ص٦٠٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ (ج١ ص٣٥٥)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥١٨).

(٢) **فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ**: وَعْظِ الْقُرْآنِ لَهُ، وَلَا نُصْحِ السُّنَّةِ لَهُ، وَلَا إِرْشَادِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَهُ، فَهُوَ مُكَابِرٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَهَذَا أَنَّىٰ لَهُ التَّوْبَةُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

رَاقِيًا بِنَفْسِهِ إِلَىٰ دَرَجَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، الصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النُّورُ: ٥].

قُلْتُ: فَمَنْ رَجَعَ عَنِ السَّيِّئَاتِ، بَعْدَ أَنْ عَمِلَهَا فِي حَيَاتِهِ، شَاعِرًا بِقُبْحِهَا، نَادِمًا عَلَيْهَا، خَائِفًا مِنْ عَاقِبَتِهَا.

* وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ، بِأَنْ أَتْبَعَ ذَلِكَ الْعَمَلَ السَّيِّئَ، بِعَمَلِ الْحَسَنَاتِ، حَتَّىٰ تَعُودَ النَّفْسُ طَاهِرَةً مِنْ شَوَائِبِ السَّيِّئَاتِ، وَبِذَلِكَ: تَزْكُو النَّفْسُ فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الْقَصَصُ: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هُودٌ: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النَّحْلُ: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ

(١) انْظُرْ: «التَّوْبَةَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» لِبِنْتِ صَالِحٍ (ص٥٣).

حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفُرْقَانُ: ٧٠].

قُلْتُ: لذَلِكَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ عَلَىٰ الْجَادَّةِ؛ لِيَرْفَعَ الْجَهْلَ عَنْ نَفْسِهِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَرْءِ: الْجَهْلُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النَّحْلُ: ٧٨].

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْعِلْمِ» (ص٢٦): (أَنْ يَنْوِيَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ: رَفْعَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِنْسَانِ الْجَهْلُ). اهـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ بَكْرٌ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «حِلْيَةِ طَالِبِ الْعِلْمِ» (ص٣٢٥): (فَكُنْ طَالِبَ عِلْمٍ عَلَىٰ الْجَادَّةِ؛ تَقْفُو الْأَثَرَ، وَتَتَّبِعُ السُّنَنَ، تَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، عَارِفًا لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ وَسَابِقَتَهُمْ). اهـ

قُلْتُ: إِذًا فَلَا يَسْتَوِي الَّذِي يَعْلَمُ، وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ، كَمَا لَا يَسْتَوِي الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ، وَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ، وَلَا تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؛ الْعِلْمُ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْمَرْءُ، وَيَخْرُجُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، فَالْجَهْلُ ظُلُمَاتٌ، وَالْعِلْمُ نُورٌ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرَّعْدُ: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فَاطِرُ: ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٩].

---

(١) وَانْظُرْ: «الْعِلْمَ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ص١٤ و٢٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٥ و١٦].

وَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ حَيْثُ يَشَاءُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْعِلْمُ نُورٌ يَهْدِي اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مَنْ يَشَاءُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقَلْبِ). (١)

قُلْتُ: فَمَنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ خَيْرًا؛ أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ.

* **وَالْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُتَّبَعَ:** فَإِنَّمَا هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

* **وَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: «نُورٌ»؛** يُرِيدُ بِهِ: فَهْمَ الْعِلْمِ، وَمَعْرِفَةَ مَعَانِيهِ. (٢)

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ.**

أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٦ ص٣١٩)، وَأَبُو عَمْرٍو ابْنُ مَنْدَه فِي «الْفَوَائِدِ» (ص٩٤)، وَابْنُ وَهْبٍ فِي «الْعِلْمِ» (ج١ ص٧٥٨ -جَامِعُ الْعِلْمِ)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١٠ ص٣١٨٠)، وَالرَّامَهُرْمُزِيُّ فِي «الْمُحَدِّثِ الْفَاصِلِ» (ص٧٥٥)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (ج١ ص٣٨)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي» (ج٢ ص٢٥٣)، وَالْجَوْهَرِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْمُوَطَّأِ» (ص٨٨)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» (ج١ ص٧٥٧)، وَالْقَاضِي عِيَاضٌ فِي «الْإِلْمَاعِ» (ص٢١٧).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي «تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ» (ج١ ص٥٧)، وَالذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (ج٨ ص١٠٧)، وَالسُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٧ ص٢٠)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٦ ص٣٠٨).

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٣٠٨)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٥ ص٥٧٨)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٢٨٩).

فَعَنْ أَبِي هَمَّامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ شَرِيكًا رَحِمَهُ اللَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٦٩]؛ **قَالَ: (الْفَهْمُ).** (١)

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٦٩]؛ **قَالَ: (الْكِتَابُ، وَالْفَهْمُ فِيهِ).** (٢)

قُلْتُ: فَحُسْنُ الْفَهْمِ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ» (ص١٥٩): (وَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْمِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ تَعَالَىٰ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الرِّسَالَةِ» (ص١٩): (فَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَ عِلْمَ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ نَصًّا وَاسْتِدْلَالًا، وَوَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ: فَازَ بِالْفَضِيلَةِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبُ، وَنَوَّرَتْ فِي قَلْبِهِ الْحِكْمَةُ، وَاسْتَوْجَبَ فِي الدِّينِ مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ). اهـ.

قُلْتُ: وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ تَجَنُّبُ سُوءِ الْفَهْمِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ ضَلَالَةٍ.

---

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي» (١٥٧٥).

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٢) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٥ ص٥٧٧).

وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٣ ص٢٨٨)، وَالشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ» (ج١ ص٢٨٩).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الرُّوحِ» (ص٦٣): (بَلْ سُوءُ الْفَهْمِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَسُولِهِ ﷺ أَصْلُ كُلِّ بِدْعَةٍ، وَضَلَالَةٍ نَشَأَتْ فِي الْإِسْلَامِ؛ بَلْ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَطَأٍ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَلَاسِيَّمَا إِنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَصْدِ، فَيَتَّفِقُ سُوءُ الْفَهْمِ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْمَتبُوعِ مَعَ حُسْنِ قَصْدِهِ، وَسُوءِ الْقَصْدِ مِنَ التَّابِعِ، فَيَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ).اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ» (ج١ ص٨٧): (صِحَّةُ الْفَهْمِ، وَحُسْنُ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ، وَلَا أَجَلَّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَلِيهِمْ الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ، وَطَرِيقَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

* **وَصِحَّةُ الْفَهْمِ**: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَيُمِدُّهُ حُسْنُ الْقَصْدِ، وَتَحَرِّي الْحَقِّ، وَتَقْوَىٰ الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَيَقْطَعُ مَادَّتَهُ اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَإِيثَارُ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ مَحْمَدَةِ الْخَلْقِ، وَتَرْكُ التَّقْوَىٰ). اهـ.

قُلْتُ: فَمَنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ خَيْرًا؛ أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ.

قُلْتُ: إِنَّ الْمَرْءَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُفُ: ١٠٨].

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْعِلْمِ» (ص١٩): (الْعِلْمُ نُورٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ الْعَبْدُ؛ فَيَعْرِفُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ، وَكَيْفَ يُعَامِلُ عِبَادَهُ، فتكُونُ مَسِيرَتُهُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ). اهـ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: الصِّدْقُ فِي التَّوْبَةِ:

الصِّدْقُ: مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: صَدَقَ، يَصْدُقُ، صِدْقًا، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «**صَ، دَ، قَ**»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ، قَوْلًا، أَوْ غَيْرَ قَوْلٍ.

* **مِنْ ذَلِكَ**: الصِّدْقُ، خِلَافُ: الْكَذِبِ؛ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ، لَا قُوَّةَ لَهُ، وَهُوَ بَاطِلٌ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ: لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ.

* **وَالصِّدْقُ**: هُوَ الْخَبَرُ الْمُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ.

* **وَالتَّصْدِيقُ**: هُوَ الْحُكْمُ بِمُطَابَقَةِ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ.

* **وَالصِّدِّيقُ**: الدَّائِمُ التَّصْدِيقِ، وَيَكُونُ أَيْضًا، الَّذِي يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِالْعَمَلِ، وَالصِّدِّيقُ: الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ.

* **فَالصِّدْقُ**: هُوَ الْمُوَافَقَةُ، بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ عِبَادَاتِ الْقَلْبِ، وَمِنْ أَعْظَمِ شُرُوطِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

لِذَلِكَ: يَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ، أَنْ يُوَاطِئَ قَلْبُهُ لِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ.

* وَأَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، فِي إِخْلَاصِهِ لَهُ تَعَالَىٰ، بِأَنْ يَجْعَلَ بَاطِنَهُ أَعْمَرَ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ مُدَاهَنَةِ النَّفْسِ، وَالْإِعْجَابِ بِهَا.

* وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَوِّيَ أَعْمَالَ الْقَلْبِ، وَالْجَوَارِحِ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، **فَبِذَلِكَ**: يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالصِّدْقِ.

* وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيهِ، وَقِيَامِهَا بِهِ تَكُونُ صِدِّيقِيَّتُهُ وَيَكُونُ وَفَاؤُهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ.(١)

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج٢ ص٣٦٧): (الصِّدْقُ: هُوَ حُصُولُ الشَّيْءِ وَتَمَامُهُ، وَكَمَالُ قُوَّتِهِ، وَاجْتِمَاعُ أَجْزَائِهِ.

* **كَمَا يُقَالُ**: عَزِيمَةٌ، صَادِقَةٌ: إِذَا كَانَتْ قَوِيَّةً تَامَّةً.

* **وَكَذَلِكَ**: مَحَبَّةٌ، صَادِقَةٌ، وَإِرَادَةٌ صَادِقَةٌ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ: حَلَاوَةٌ، صَادِقَةٌ: إِذَا كَانَتْ قَوِيَّةً تَامَّةً، ثَابِتَةَ الْحَقِيقَةِ، لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ). اهـ.

وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (ج١٠ ص١٩٢): (الصِّدْقُ: نَقِيضُ، الْكَذِبِ، يُقَالُ: صَدَقَهُ الْحَدِيثَ: أَنْبَأَهُ: بِالصِّدْقِ، وَصَدَقْتُ الْقَوْمَ: قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا، وَرَجُلٌ صَدُوقٌ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ، وَالصِّدِّيقُ: الدَّائِمُ التَّصْدِيقِ). اهـ.

وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّعْرِيفَاتِ» (ص٢٧٧): (الصِّدْقُ: مُطَابَقَةُ الْحُكْمِ لِلْوَاقِعِ، وَهَذَا هُوَ: ضِدُّ الْكَذِبِ). اهـ.

* **وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ**: أَنْ يَكُونَ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَحْوَالِ:

أَوَّلاً: الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ: اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي الدِّينِ.

---

(١) انْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج٢ ص٢٥٨)، وَ«التَّعْرِيفَاتِ» لِلْجُرْجَانِيِّ (ص٥٩ و١٣٢)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج١٥ ص١٠٢)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٧ ص٣٠)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٥٠٤)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج١٠ ص١٩٣)، وَ«بَصَائِرَ ذَوِي التَّمْيِيزِ» لِلْفَيْرُوزَآبَادِيِّ (ج٣ ص٣٩٧)، وَ«الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج٤ ص١٥٠٦)، وَ«الْمِصْبَاحَ الْمُنِيرَ» لِلْفَيُّومِيِّ (ج١ ص٣٢٥)، وَ«الْمُفْرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص٢٧٧)، وَ«مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج٣ ص٣٣٩)، وَ«دَلِيلَ الْفَالِحِينَ» لِابْنِ عَلَّانٍ (ج١ ص٢٠٢).

ثَانِيًا: الصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ: اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَىٰ الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ فِي الدِّينِ.

ثَالِثًا: الصِّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ: اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ، وَالْجَوَارِحِ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ.

* وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ فِي الدِّينِ.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مَرْيَمُ: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاءُ: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٣].

* **فَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ**: هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَنَّ الَّذِي صَدَّقَ بِهِ؛ هُمُ: الْمُسْلِمُونَ.[2]

* **وَعَلَامَةُ الصِّدْقِ**:

* **الصِّدْقُ**: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ.

* **وَعَلَامَةُ الْكَذِبِ**:

* **الْكَذِبُ**: رِيبَةُ الْقَلْبِ، وَحُصُولُهَا فِيهِ.

* **وَمَفْهُومُ الصِّدْقِ**: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، الْمُوصِلُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِ: الصِّدْقُ فِي نَفْسِهِ، وَيَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ، لَهُ:

١) لِسَانَ صِدْقٍ فِي الدِّينِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مَرْيَمُ: ٥٠].

* **وَالْمُرَادُ**: بِاللِّسَانِ هَاهُنَا: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ،

---

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج٢ ص٢٨١).

(٢) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٥٨ و٥٩).

وَعَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ، وَعَلَىٰ رُسُلِهِ، وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَىٰ دِينِهِ.

٢) وَقَدَمَ صِدْقٍ فِي الدِّينِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونُسُ: ٢].

وَالْمُرَادُ: بِالْقَدَمِ، الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا للهِ تَعَالَىٰ، وَفِي دِينِهِ.

٣) وَمَقْعَدَ صِدْقٍ فِي الدِّينِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [الْقَمَرُ: ٥٤ و٥٥].

* **وَالْمُرَادُ:** بِالْمَقْعَدِ هُنَا: هُوَ الْجَنَّةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٤) وَمُخْرَجَ صِدْقٍ فِي الدِّينِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٠].

وَالْمُرَادُ: بِالْمُخْرَجِ هَاهُنَا: هُوَ أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُ حَقًّا، ثَابِتًا للهِ تَعَالَىٰ، وَفِي مَرْضَاتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

* **فَالْمُخْرَجُ:** إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، أَوِ السَّفَرِ، أَوِ الْحَجِّ، أَوِ الْعُمْرَةِ، أَوِ السُّوقِ، أَوْ مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، يَكُونُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ فِي الدِّينِ.

قُلْتُ: وَهَذَا ضِدُّ مُخْرَجِ: الْكَذِبِ، الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ، يُوَصِّلُ إِلَيْهَا.

* **كَمُخْرَجِ:** أَعْدَاءِ اللهِ فِي الْخَارِجِ، وكَمُخْرَجِ أَعْدَاءِ اللهِ فِي الدَّاخِلِ، فَلَنْ يَصِلُوا، بِهَذِهِ الْأَكَاذِيبِ فِي الدِّينِ إِلَىٰ شَيْءٍ، لِهَدْمِ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ بَاقٍ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فَاطِرُ: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فَاطِرُ: ٤٣].

٥) وَمُدْخَلَ صِدْقٍ فِي الدِّينِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٠].

* **وَالْمُرَادُ:** بِالْمُدْخَلِ هُنَا: هُوَ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ حَقًّا، ثَابِتًا للهِ تَعَالَىٰ، وَفِي مَرْضَاتِهِ، فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

* وَالْمُدْخَلُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، كَثِيرٌ، فَلْتَكُنْ فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **فَمُدْخَلُكَ:** فِي الدِّينِ، وَفِي الصَّلَاةِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَالْمَسْجِدِ، وَفِي الْحَجِّ، وَالْبُلْدَانِ، وَالسُّوقِ، وَالْبَيْتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كُلُّهُ فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **فَمُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ:** أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ، وَخُرُوجُهُ: حَقًّا، ثَابِتًا للهِ تَعَالَىٰ، وَفِي مَرْضَاتِهِ، وَفِي دِينِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ، كُلُّهُ مِنَ الصِّدْقِ.

* **فَكُلُّ مُدْخَلٍ، وَمُخْرَجٍ:** كَانَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَللهِ تَعَالَىٰ، وَصَاحِبُهُ ضَامِنٌ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ: مُدْخَلُ صِدْقٍ، وَمُخْرَجُ صِدْقٍ.

* وَقَدْ بُيِّنَ مُدْخَلُ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخْرَجُهُ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ سَبِيلُ الصِّدْقِ، مِمَّنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ السَّبِيلَ الصَّحِيحَ، أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ، وَخُرُوجُهُ عَلَىٰ مُدْخَلِ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخْرَجِ صِدْقِهِ ﷺ.

* فَإِنَّ هَذَا الْمُدْخَلَ وَالْمُخْرَجَ فِي الدِّينِ، مِنْ مَدَاخِلِهِ، وَمَخَارِجِهِ ﷺ، وَمَدَاخِلُهُ وَمَخَارِجُهُ: كُلُّهَا، مَدَاخِلُ صِدْقٍ، وَمَخَارِجُ صِدْقٍ، إِذْ هِيَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَللهِ تَعَالَىٰ، وَبِأَمْرِهِ، وَلِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ فِي الدِّينِ.

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ:

١) مُدْخَلُ الصِّدْقِ.

٢) وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ.

٣) وَلِسَانُ الصِّدْقِ.

٤) وَمُقْعَدُ الصِّدْقِ.

٥) وَقَدَمُ الصِّدْقِ.

* **وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ**: فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، هُوَ: الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، الْمُوَصِّلُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

* **وَهُوَ**: مَا كَانَ بِهِ، وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَجَزَاءُ ذَلِكَ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، **فِي حَدِيثِ: تَوْبَتِهِ، وَصَاحِبَيْهِ**[1]، **قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ؛ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ...، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ)**.[2]

قُلْتُ: فَالصِّدْقُ، يَرْفَعُ الْأَعْمَالَ، وَيُعْلِي شَأْنَهَا.

* **وَالصِّدْقُ**: دَلِيلُ الْقُوَّةِ، وَسِمَةُ: الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا

---

(١) هُمَا: مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٤٤١٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٦٩).

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الْحُجُرَاتُ: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ عَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ٦٩ و٧٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٣].

* **وَهَذَا بِخِلَافِ**: مُدْخَلِ الْكَذِبِ، مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ فِي الْخَارِجِ، وَأَعْدَاءِ اللهِ فِي الدَّاخِلِ.(١)

* وَالْكَذِبُ هَذَا فِي الدَّاخِلِ، الَّذِي رَامَ أَعْدَاؤُهُ فِي الْخَارِجِ، أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ، وَيُسْلِمُوا بِزَعْمِهِمْ.

* **فَهَذَا مُدْخَلُ**: مَنْ دَخَلَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمَجُوسِ، وَغَيْرِهِمْ: مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ.

* فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا للهِ تَعَالَىٰ، بَلْ مُحَادَّةً للهِ تَعَالَىٰ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

* **لِذَلِكَ**: لَمْ يَتَّصِلْ بِهِ، إِلَّا الْخِذْلَانُ، وَالْبَوَارُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ.(٢)

---

(١) وَمَا خَرَجَ أَحَدٌ فِي هَذَا الْحَيَاةِ، إِلَّا مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَدْخَلًا، فِي الصِّدْقِ، أَوِ الْكَذِبِ.

* فَمَدْخَلُ كُلِّ أَحَدٍ، مَخْرَجُهُ؛ لَا يَعْدُو الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ، عَلَىٰ حَسَبِ نِيَّتِهِ فِي بَاطِنِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

(٢) **فَيَنْشُرُونَ فِيهِمُ**: الْأَفْكَارَ الْمَشْبُوهَةَ، الَّتِي ضِدَّ الْإِسْلَامِ؛ مِنَ: «**الْفِكْرِ الصُّوفِيِّ**»، أَوِ«**الْفِكْرِ الْإِخْوَانِيِّ**»،

=

* فَلَمَّا كَانَ مُدْخَلَ كَذِبٍ، أَصَابَهُمْ مِنْهُ، مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْهَلَاكِ، لِأَنَّهُمْ: أَسْلَمُوا لَيْسَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا للهِ تَعَالَىٰ، بَلْ مُحَادَّةً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لِإِضْلَالِهِمْ فِي دِينِهِمُ الْحَقِّ.(١)

* وَالْكَذِبُ هَذَا أَيْضًا فِي الدَّاخِلِ، الَّذِي رَامَ أَعْدَاؤُهُ، مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ، وَيَتُوبُوا بِزَعْمِهِمْ، وَيَرْجِعُوا إِلَىٰ الْحَقِّ.

* **فَهَذَا مُدْخَلُ**: مَنْ دَخَلَ مِنَ الشِّيعَةِ، وَالصُّوْفِيَّةِ، وَالسُّرُورِيَّةِ، وَالدَّاعِشِيَّةِ، وَالْإِخْوَانِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ.(٢)

* فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا للهِ تَعَالَىٰ، بَلْ مُحَادَّةً لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ، قَوْلًا، وَعَمَلًا.(٣)

* **لِذَلِكَ**: لَمْ يَتَّصِلْ بِهَذَا الْكَذِبِ فِي الدِّينِ؛ إِلَّا الْخِذْلَانُ، وَالْبَوَارُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

أَوِ«**الْفِكْرِ السُّرُورِيِّ**»، أَوِ«**الْفِكْرِ الدَّاعِشِيِّ**»، أَوِ«**الْفِكْرِ الْقُطْبِيِّ**»، أَوِ«**الْفِكْرِ الرَّبِيعِيِّ**»، أَوِ«**الْفِكْرِ الرَّافِضِيِّ**»، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

* **وَيَكُونُ ذَلِكَ**: عَلَىٰ حَسَبِ مُدْخَلِ، وَمُخْرَجِ، أَهْلِ الْكُفْرِ فِي هَذِهِ الْأَفْكَارِ الْبِدْعِيَّةِ، فِي الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

(١) **لِأَنَّهُمْ**: لَمْ يَصْدُقُوا فِي تَوْبَتِهِمْ للهِ تَعَالَىٰ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، فَاحْذَرُوهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

* **وَهَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ فِي الْخَارِجِ**، يُسْلِمُونَ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ فِي الدَّاخِلِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، فَهَذَا الْإِسْلَامُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا.

(٢) **لِذَلِكَ**: لَمَّا حَصَلُوا عَلَىٰ الْأَمْوَالِ، وَالْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، تَرَكُوا الدِّينَ الصَّحِيحَ، وَلَجَأُوا إِلَىٰ التَّمْيِيعِ مَعَ الْأَحْزَابِ فِي الدَّاخِلِ، وَمَعَ الْأَحْزَابِ فِي الْخَارِجِ، مِنْ أَجْلِ حُصُولِهِمْ عَلَىٰ مَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَهُمْ: أَعْدَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي دِينِهِ.

(٣) وَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ، فَإِنَّهُمْ: يُحَارِبُونَ أَهْلَ الْأَثَرِ، وَيَمْكُرُونَ بِهِمْ فِي الْبُلْدَانِ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فَاطِرُ: ٤٣].

وَالْآخِرَةِ.

* فَلَمَّا كَانَ مُدْخَلَ كَذِبٍ، مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ فِي تَوْبَتِهِمْ، أَصَابَهُمْ مِنْهُ، مَا أَصَابَهُمْ، مِنَ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ فَبِسَبَبِ نَشْرِهِمُ الْبِدَعَ وَالْمَعَاصِيَ مَعًا، فِي الْبُلْدَانِ.

* **لِأَنَّهُمْ**: تَابُوا لَيْسَ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا للهِ تَعَالَىٰ، بَلْ مُحَادَّةً لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، وَمِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا يُصِيبُونَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَغَيْرِهَا، وَلِإِضْلَالِهِمْ لِلنَّاسِ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِمْ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٨].

قُلْتُ: فَالصِّدْقُ: مَنْجَاةٌ، وَالْكَذِبُ: مَهْوَاةٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٢].

* **وَاللهُ تَعَالَىٰ**: بَيَّنَ لِأَهْلِ الْبِدَعِ، وَلِأَهْلِ الْمَعَاصِي[1]، أَنْ يَكُونُوا، مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الصَّادِقِينَ فِي دِينِهِ، لَا يَكُونُونَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْفُرْقَةِ، الْكَاذِبِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٢].

---

(١) الَّذِينَ يَدَّعُونَ، أَنَّهُمْ: آمَنُوا بِاللهِ تَعَالَىٰ فِي الدِّينِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّفُّ: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٦-٦٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النِّسَاءُ: ١٥٧].

* **وَالْإِيمَانُ:** أَسَاسُهُ، الصِّدْقُ.

* **وَالنِّفَاقُ:** أَسَاسُهُ، الْكَذِبُ.

قُلْتُ: فَلَا يَجْتَمِعُ: كَذِبٌ، وَإِيمَانٌ؛ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا: يُحَارِبُ الْآخَرَ.

* **وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ:** أَنَّهُ فِي الْقِيَامَةِ، لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ، وَيُنَجِّيهِ مِنْ عَذَابِهِ؛ إِلَّا صِدْقُهُ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الْمَائِدَةُ:١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا

يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٣-٣٥].

قُلْتُ: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ: هُوَ مَنْ شَأْنُهُ الصِّدْقُ، فِي قَوْلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَحَالِهِ.

* **وَوَصْفُ ذَلِكَ**: كُلُّهُ بِالصِّدْقِ، مُسْتَلْزِمٌ ثُبُوتَهُ وَاسْتِقْرَارَهُ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْحَقِّ سُبْحَانَهُ، كَانَ بِهِ، وَلَهُ فِي الدِّينِ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ**: **(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ، حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)**.[1]

* فَالصِّدْقُ مِنْ أَنْبَلِ الْأَخْلَاقِ، وَأَعْلَاهَا قَدْرًا، وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ لِلْفَوْزِ، وَالنَّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ.

* وَلِأَهَمِّيَّةِ الصِّدْقِ، وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ، وَعَظِيمِ أَثَرِهِ، حَثَّنَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الصِّدْقِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ:١١٩].

* **وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ**: يُعَلِّمُنَا الرَّسُولُ ﷺ، أَنْ نَكُونَ صَادِقِينَ فِي الدِّينِ، وَمُحِبِّينَ لِلصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ، مِنْ جَهْلٍ بَسِيطٍ، غَيْرَ مُصِرٍّ، وَلَا مُعَانِدٍ، فَهَذَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، لِأَنَّهُ مُتَذَلِّلٌ، وَمُتَوَاضِعٌ لِلهِ تَعَالَىٰ:

* وَبِالْمُقَابِلِ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ: مِنَ الْبِدَعِ، بِجَهْلٍ مُرَكَّبٍ، لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، لِأَنَّهُ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٦٠٧).

يَتُوبُ مِنْ ذَنْبٍ، وَيَبْقَىٰ عَلَىٰ ذَنْبٍ آخَرَ، وَهَذَا حَالُ الْمُبْتَدِعَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

* فَهَذَا يُعْتَبَرُ أَنَّهُ مُصِرٌّ، وَمُعَانِدٌ، لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ ذَنْبَ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، لَيْسَ ذَنْبًا، بَلْ عِنْدَهُ عِبَادَةٌ.

* **فَلِذَلِكَ**: لَا يَتُوبُ مِنْهَا، وَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ ذُنُوبِ كُلِّ الْبِدَعِ.

وَيَعْتَرِفُ أَنَّهَا مِنَ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ، وَلَا يُصِرُّ عَلَيْهَا، فَهَذَا مُكَابِرٌ، غَيْرَ مُتَوَاضِعٍ للهِ تَعَالَىٰ.

* فَهَذَا يُعَدُّ غَيْرَ تَائِبٍ فِي الدِّينِ، وَهَذَا شُؤْمُ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، إِذَا وَقَعَ فِيهِ الْعَبْدُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧ و١٨].

* **يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ**: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعَالَىٰ التَّوْبَةَ مِمَّنْ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ، نَادِمٌ عَلَىٰ مَا فَاتَ فِي فِعْلِهِ السَّيِّئَاتِ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ فِي مَرَضِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، فَهَذَا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْحَرِجَةِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا، قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، سَوَاءً بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْ قَصِيرَةٍ، لَا تُقْبَلُ بِمِثْلِ هَذَا، وَهُوَ قَدْ أَسْرَفَ فِي السَّيِّئَاتِ ، فَأَفْسَدَ نَفْسَهُ، وَأَفْسَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْخَلْقِ، فِي طُوَالِ مُدَّةِ حَيَاتِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

فَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا التَّوْبَةُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَبُولَهَا، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، فَالْقَبُولُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ: وَاقِعٌ، لَا مَحَالَةَ، كَمَا يَقَعُ الْفِعْلُ الْوَاجِبُ، مِمَّنْ وَجَبَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِشُرُوطِ الشَّرْعِ، فَتَقَعُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمُخَالِف، الَّذِي يَعْمَلُ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ مِنْ قَرِيبٍ، يَعْنِي: أَثْنَاءَ حَيَاتِهِ، وَفِي صِحَّتِهِ، قَبْلَ أَنْ تُحِيطَ بِهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ، فَيَهْلَكُ، فَهَذَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةُ، لِأَنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكَهُ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾؛ فَمَا قَبْلَ الْمَوْتِ: قَرِيبٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: فِي الْقِيَامَةِ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥١].

قَالَ الْإِمَامُ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ» (ج٢ ص١٣٤): (وَقَدْ يَجُوزُ، أَنْ يَجِدَ وَقْتَ التَّوْبَةِ، بِمَا هُوَ: أَبْيَنُ مِنْ هَذَا، وَأَشْبَهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨]؛ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ التَّوْبَةَ تُقْبَلُ مَا لَمْ تَبْطُلِ الدَّوَاعِي الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِلَىٰ ضُرُوبِ الْمَعَاصِي.

* فَإِذَا بَطَلَتْ تِلْكَ الدَّوَاعِي بِسُقُوطِ الْقُوَىٰ، وَبُطْلَانِ الشَّهَوَاتِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَمَاتِ، فَقَدِ انْقَضَىٰ وَقْتُ التَّوْبَةِ). اهـ.

عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ؛ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانُوا يَقُولُونَ: (كُلُّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ عَبْدٌ، فَهُوَ بِجَهَالَةٍ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٦) مِنْ طَرِيقِ بِشْرِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ: تَابِعِيٌّ كَبِيرٌ، وَفِي شُيُوخِهِ: صَحَابَةٌ، فَلَهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١ ص٦٠٥) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ، قَالَ: (**اجْتَمَعَ رَأْيُ رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ ابْنُ آدَمَ، فَهِيَ جَهَالَةٌ**).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» (ج٧ ص٦٥٨)، مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَلَا يَصِحُّ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩)، وَالْعَلَّامَةُ الشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ» (ج١ ص٥٠٦)، وَالْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٧).

* فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَوْا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ، عُصِيَ بِهِ، فَهُوَ جَهَالَةٌ، عَمْدًا، كَانَ أَوْ خَطَأً، أَوْ غَيْرَهُمَا.(١)

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ**: (**كُلُّ مَنْ عَصَىٰ رَبَّهُ، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ**).

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٦)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ (ج١ ص١٥١)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٥٠٦)، وَ«الدُّرَّ الْمَنْثُورَ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٤ ص٢٧٩)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٧).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٤٩٩٩)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٠٧٣)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (١٤٨١)، وَابْنُ أَبِي إِيَاسٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ص٢٧٠) مِنْ طَرِيقِ عِيسَىٰ، وَشِبْلٍ، وَوَرْقَاءَ، جَمِيعُهُمْ: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٧)، وَالْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٢٧٩).

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ مَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَذَاكَ مِنْهُ بِجَهْلٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ شِبْلٍ، وَوَرْقَاءَ؛ كِلَاهُمَا: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (كُلُّ مَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَذَاكَ مِنْهُ بِجَهْلٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْهُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (مَنْ عَصَىٰ اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (٤٩٩٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، كِلَاهُمَا: عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٣ ص٣٨)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ» (ص١٧١ و١٧٢).

قُلْتُ: فَمَنْ عَمِلَ السُّوءَ، فَهُوَ جَاهِلٌ، وَمِنْ جَهَالَتِهِ: عَمِلَ السُّوءَ.(١)

وَاقْرَأْ: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يُوسُفُ:٨٩].

وَاقْرَأْ: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يُوسُفُ:٣٣].

قُلْتُ: مَنْ عَصَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ، أَوِ ابْتَدَعَ، فَهُوَ جَاهِلٌ حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَبِدْعَتِهِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ السُّدِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (مَا دَامَ يَعْصِي اللهَ، فَهُوَ: جَاهِلٌ)**.

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص٥٦٧) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ بِهِ.

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ وَهْبٍ (ج١ ص١٨).

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣).

قُلْتُ: فَالْمَعَاصِي كُلُّهَا جَهَالَةٌ، فَكُلُّ مَنْ عَصَىٰ رَبَّهُ، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧].

* **وَنَظِيرُهَا: فِي سُورَةِ: الْأَنْعَامِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٨٣): (فَهَذَا شَأْنُ التَّائِبِ مِنْ قَرِيبٍ، وَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ: لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَوْبَةُ اضْطِرَارٍ، لَا اخْتِيَارٍ، فَهِيَ كَالتَّوْبَةِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ بَأْسِ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَعَنِ الْإِمَامِ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (مَنْ عَمِلَ ذَنْبًا، مِنْ شَيْخٍ، أَوْ شَابٍّ، فَهُوَ بِجَهَالَةٍ)**.

---

(١) انْظُرْ: «الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ» للثَّعْلَبِيِّ (ج٣ ص٢٧٣)، وَ«الْوَسِيطَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» لِلْوَاحِدِيِّ (ج٢ ص٢٦ و٢٧)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٥ ص٩٢)، وَ«فَتْحَ الْقَدِيرِ» لِلشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٤٤٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٣ ص٣٨)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص١٣٠١)، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٦ ص٥٦٧)، وَ«مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ» لِلْبَغَوِيِّ (ج٢ ص١٨٤)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ وَهْبٍ (ج١ ص١٨).

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ، ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيُّ، ثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ **قَالَ: (لَيْسَ مِنْ جَهَالَتِهِ، أَنْ يَعْلَمَ: حَلَالًا وَحَرَامًا، وَلَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِ حِينَ دَخَلَ فِيهِ)**.

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٤٠٢) مِنْ طَرِيقِ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَجُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

* فَهُوَ جَاهِلٌ، حِينَ عَمِلَ بِالْمَعْصِيَةِ.

* **فَأَهْلُ الْجَهَالَةِ**: هُمْ قَوْمٌ، لَمْ يَعْلَمُوا مَا لَهُمْ مِمَّا عَلَيْهِمْ، إِلَّا فِي الْجُمْلَةِ، فَإِذَا نُصِحُوا، وَعَلِمُوا، فَلْيَخْرُجُوا مِنْهَا: فَإِنَّهَا جَهَالَةٌ، مُهْلِكَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

* فَمَنْ عَمِلَ سُوءًا خَطَأً، أَوْ إِثْمًا، أَوْ عَمْدًا، فَهُوَ جَاهِلٌ، حَتَّىٰ يَنْزِعَ مِنْهُ.(١)

قَالَ الْإِمَامُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١ ص٣٦٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧]؛ فَكُلُّ ذَنْبٍ يَعْمَلُهُ، الْمُؤْمِنُ: فَهُوَ جَهْلٌ مِنْهُ).

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ج٤ ص٤٠٣)، وَ«شِفَاءَ الْعَلِيلِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ص١٧١ و١٧٢).

* وَإِذَا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الْبِدَعِ، وَأَهْلَ الْمَعَاصِي، لَا يَتُوبُونَ، فَاعْلَمُوا؛ أَنَّهُمْ: مِنَ الْمُجْرِمِينَ، الْمُعَانِدِينَ، الضَّالِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هُودٌ:٥٢].

قُلْتُ: فَالَّذِي يَتْرُكُ التَّوْبَةَ، وَلَا يَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، فَاعْلَمْ: أَنَّهُ مُجْرِمٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هُودٌ:٥٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يُونُسُ:٨١].

الشَّرْطُ السَّادِسُ: الِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ، وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ: (وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).[1]

* **فَمِنْ شُرُوطِ التَّوْبَةِ:** الِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ، وَالنَّدَمُ.[2]

قَالَ اللُّغَوِيُّ الرَّاغِبُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُفْرَدَاتِ» (ص٧٦): (التَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ: تَرْكُ الذَّنْبِ لِقُبْحِهِ، وَالنَّدَمُ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَالْعَزِيمَةُ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُعَاوَدَةِ، وَتَدَارُكُ مَا أَمْكَنَهُ: أَنْ يَتَدَارَكَ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْإِعَادَةِ). اهـ.

* **فَالتَّوْبَةُ:** تَأْتِي بِمَعْنَىٰ: النَّدَامَةِ، وَهَذَا غَيْرُ مُقَيَّدٍ، لَا بِـ«**إِلَىٰ**»، وَلَا: «**عَلَىٰ**»، لِقَوْلِهِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٧٠).

(٢) انْظُرْ: «رِيَاضَ الصَّالِحِينَ» لِلنَّوَوِيِّ (ص١١ و١٢)، وَ«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٣٠٥)، وَ«الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» لِلْقُرْطُبِيِّ (ج٥ ص٩١)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٣٩٢)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص١٠٣)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٨ ص٢٩٢).

تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التَّوْبَةُ:٣].

قَالَ اللُّغَوِيُّ الْجُرْجَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التَّعْرِيفَاتِ» (ص٧٤): (التَّوْبَةُ: الِاعْتِرَافُ، وَالنَّدَمُ، وَالْإِقْلَاعُ). اهـ.

وَقَالَ الْمُفَسِّرُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج٥ ص٩١): (هِيَ النَّدَمُ بِالْقَلْبِ، وَتَرْكُ الْمَعْصِيَةِ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَىٰ مِثْلِهَا، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ: حَيَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص١٧٩): (إِنَّ الْهِدَايَةَ التَّامَّةَ، إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لَا تَكُونُ مَعَ الْجَهْلِ بِالذُّنُوبِ، وَلَا مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهَا.

* **فَإِنَّ الْأَوَّلَ**: جَهْلٌ يُنَافِي مَعْرِفَةَ الْهُدَىٰ.

* **وَالثَّانِي**: غَيٌّ يُنَافِي قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ.

* **فَلِذَلِكَ**: لَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ؛ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَةِ الذَّنْبِ، وَالِاعْتِرَافِ بِهِ، وَطَلَبِ التَّخَلُّصِ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِهِ، أَوَّلًا، وَآخِرًا). اهـ.

* وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ، هُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ، لِلتَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ.

* فَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ الذُّنُوبِ، لَا يُعَدُّ تَائِبًا.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا﴾ [النُّورُ: ٣١]؛ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَعْنَىٰ: الْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، لِأَنَّ النَّفْسَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْبِدْعَةِ، قَلَّمَا تُخْلِصُ فِي إِقْبَالِهَا عَلَىٰ عَمَلِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ.

لِذَلِكَ: كَانَ عَلَىٰ التَّائِبِ، أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ، فَيَقْتَلِعَ جُذُورَ الْمَعَاصِي، وَالْبِدَعِ مِنْ قَلْبِهِ، حَتَّىٰ تُصْبِحَ نَفْسُهُ قَوِيَّةً عَلَىٰ الْخَيْرِ، مُقْبِلَةً عَلَيْهِ، نَافِرَةً عَنِ الشَّرِّ، مُتَغَلِّبَةً، بِإِذْنِ اللهِ

تَعَالَىٰ.[١]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (ج١١ ص١٠٣)؛ عَنِ التَّائِبِ: (لِأَنَّهُ لَوْ نَدِمَ، وَلَمْ يُقْلِعْ، وَعَزَمَ عَلَىٰ الْعَوْدَةِ، لَمْ يَكُنْ: تَائِبًا: اتِّفَاقًا). اهـ.

قُلْتُ: وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الْأَمْرِ: الْكَفُّ عَنْهُ.[٢]

* **وَالتَّوْبَةُ**: لَوْ لَمْ يَصْحَبْهَا النَّدَمُ، لَرُبَّمَا أَدَّىٰ ذَلِكَ، إِلَىٰ عَوْدَةِ الْمَرْءِ لِلذُّنُوبِ، لِأَنَّ النَّدَمَ يَجْعَلُ التَّائِبَ، مُتَوَجِّعًا، مُتَحَسِّرًا عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْبِدْعَةِ.

* وَهَذَا التَّصَوُّرُ يَدْفَعُ التَّائِبَ إِلَىٰ اسْتِدَامَةِ التَّوْبَةِ، وَكَثْرَةِ الِاسْتِغْفَارِ، وَالْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، يَرْضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا؛ فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ اللهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي).[٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ:٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزُّمَرُ:٥٤].

---

(١) انْظُرْ: «التَّوْبَةَ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» لِبِنْتِ صَالِحٍ (ص٤٨).

(٢) انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٨ ص٢٩٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٧٥٠٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٥٨)، وَابْنُ أَبِي صَالِحٍ فِي «الْأَرْبَعِينَ فِي قَوَاعِدِ الدِّينِ» (ص٧٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النُّورُ:٣١].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ).(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٩): (وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؛ فَيَرْجِعُ مِنَ الشِّرْكِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الزِّنَىٰ إِلَىٰ الْعَفَافِ، وَمِنَ الِاسْتِكْبَارِ إِلَىٰ الذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَمِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الطَّاعَةِ.

* **وَشُرُوطُهَا خَمْسَةٌ:** الْإِخْلَاصُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالنَّدَمُ عَلَىٰ الذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِالتَّوْبَةِ: رِضَا اللهِ، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ خَوْفُ مَخْلُوقٍ، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: النَّدَمُ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ مِنْهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَعْنَىٰ؛ «**النَّدَمِ**»: أَنْ يَتَحَسَّرَ الْإِنْسَانُ أَنْ وَقَعَ مِنْهُ هَذَا الذَّنْبُ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ: أَدَاءُ حُقُوقِ الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ الْعِبَادِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْلِعْ، فَهُوَ لَيْسَ شَرْطًا مُسْتَقِلًّا -كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ-، وَلَكِنَّهُ شَرْطٌ دَاخِلٌ فِي الْإِقْلَاعِ، إِذْ إِنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ أَهْلِهِ؛ لَمْ يُقْلِعْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»؛ فِي كِتَابِ: «الدَّعَوَاتِ»، فِي بَابِ: «التَّوْبَةِ»، (ج٧ ص١٤٥ و١٤٦).

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَعْزِمَ أَلَّا يَعُودَ؛ فَإِن لَمْ يَعْزِمْ: فَلَا تَوْبَةَ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّرْطِ أَنْ لَا يَعُودَ، فَإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الذَّنْبِ، لَمْ تَبْطُلْ تَوْبَتُهُ الْأُولَىٰ؛ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَجْدِيدِ التَّوْبَةِ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنَّ تَقَعَ التَّوْبَةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ؛ يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ فِي وَقْتِ قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ: قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

* **فَإِذَا كَانَ بَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ**: لَمْ تُقْبَلْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

* **وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**: لَمْ تُقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨]). اهـ.

وَقَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» (ص١١): (التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ: مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ، بَيْنَ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا شُرُوطٌ ثَلَاثَةٌ، وَهِيَ:

١) أَنْ يُقلِعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

٢) أَنْ يَنْدَمَ عَلَىٰ فِعْلِهَا.

٣) أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا.

* فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ، لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

* **وَيُزَادُ: شَرْطٌ رَابِعٌ**: إِذَا كَانَ الذَّنْبُ يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ: أَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهِ؛ فَإِنْ كَانَ مَالًا، أَوْ نَحْوَهُ: رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ حَدَّ قَذْفٍ مَكَّنَهُ مِنْهُ، أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإِنْ كَانْ

غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا.

* هَذَا إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ، وَيَجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا: صَحَّتْ تَوْبَتُهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ). اهـ.

الشَّرْطُ السَّابِعُ: التَّوَاضُعُ للهِ تَعَالَىٰ، مِنَ التَّائِبِ فِي حَالِ تَوْبَتِهِ، بِأَنْ يَنْقَادَ لِلْحَقِّ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ، وَالْإِذْعَانُ، بِدُونِ لَفٍّ، وَلَا دَوَرَانٍ أَثْنَاءَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ الْحَقِّ[1]، وَأَثْنَاءَ التَّوْبَةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَاضُعُ فِي الدِّينِ:

* **وَالتَّوَاضُعُ**: مَصْدَرُ تَوَاضَعَ؛ أَيْ: أَظْهَرَ الضَّعَةَ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ: «وَ، ضَ، عَ»، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ الْخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ.

يُقَالُ: وَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضْعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا.

* **وَالْوَضَائِعُ**: قَوْمٌ يُنْقَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ، إِلَىٰ أَرْضٍ، يَسْكُنُونَ بِهَا.

* وَالتَّوَاضُعُ: التَّذَلُّلُ.

* وَمِنْ هُنَا تَكُونُ صِفَةُ التَّوَاضُعِ سِمَةً لِمَنْ أَظْهَرَ الضَّعَةَ، وَالذُّلَّ للهِ تَعَالَىٰ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَالْمُؤْمِنِينَ.

* وَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ عَزِيزًا فِي نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٤].

---

(١) **كَمَا فَعَلَ**: «**رَبِيعٌ المَدْخَلِيُّ**»، وَ«**عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَبْدُ الْخَالِقِ**»، وَ«**عَدْنَانُ عَرْعُورٍ**»، وَ«**سَلْمَانُ الْعَوْدَةُ**»، وَ«**عُبَيْدٌ الْجَابِرِيُّ**»، وَ«**عَبْدُ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادُ**»، وَ«**صَالِحٌ السُّحَيْمِيُّ**»، وَغَيْرُهُمْ.

* فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَتُوبُوا، وَلَمْ يَتَوَاضَعُوا، لِأَنَّهُمْ: كَانُوا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِالظُّلْمِ لِأَنْفُسِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ الْمَزْعُومَةِ، لِيَخْدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ الْجَهَلَةَ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا فِي الدِّينِ.

* **فَالتَّوَاضُعُ**: هُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِلْحَقِّ، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ فِي الْحُكْمِ.(١)

* **وَالتَّوَاضُعُ لِلدِّينِ**: هُوَ أَنْ لَا يُعَارِضَ بِمَعْقُولٍ، مَنْقُولًا، وَلَا يَتَّهِمَ لِلدِّينِ: دَلِيلًا، وَلَا يَرَىٰ إِلَىٰ الْخِلَافِ: سَبِيلًا.

* **وَالتَّوَاضُعُ لِلدِّينِ**: هُوَ الِانْقِيَادُ لَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ، وَالْإِذْعَانُ إِلَيْهِ.

* وَمَتَىٰ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمُعَارِضَاتِ لِلْأَدِلَّةِ، فَلْيَتَّهِمْ فَهْمَهُ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْآفَةَ مِنْهُ، وَالْبَلِيَّةَ فِيهِ!.

قَالَ الْقَائِلُ:

وَكَــمْ مِنْ عَــائِبٍ قَــوْلًا صَــحِيحًا

وَآفَتُهُ مِـــنَ الْفَهْـــمِ السَّقِيـــمِ

* **إِذًا الْحَقِيقَةُ**: أَنَّهُ مَا اتَّهَمَ أَحَدٌ دَلِيلًا لِلدِّينِ، إِلَّا كَانَ الْمُتَّهِمُ هُوَ الْفَاسِدَ الذِّهْنِ.

* **فَالْآفَةُ**: مِنَ الذِّهْنِ الْعَلِيلِ، لَا فِي نَفْسِ الدَّلِيلِ.

* وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَدِلَّةِ الدِّينِ، مَا يُشْكِلُ عَلَيْكَ، وَيَنْبُو فَهْمُكَ عَنْهُ.

* **فَاعْلَمْ**: أَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ، وَشَرَفِهِ اسْتَعْصَىٰ عَلَيْكَ، وَأَنَّ تَحْتَهُ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْعِلْمِ، فَلَمْ تُؤْتَ مِفْتَاحَهُ بَعْدُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ نَافِعٌ يَفْتَحُهُ لَكَ، وَهَذَا فِي حَقِّ نَفْسِكِ، فَأَنْتَ لَسْتَ عَلَىٰ شَيْءٍ فِي الدِّينِ، فَهَذَا هُوَ الْحُكْمُ الصَّحِيحُ فِيكَ فِي الْإِسْلَامِ.(٢)

---

(١) انْظُرْ: «مَقَايِيسَ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج٦ ص١١٨)، وَ(المُفْرَدَاتِ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ (ص٥٢٥)، وَ«الصِّحَاحَ» لِلْجَوْهَرِيِّ (ج٣ ص١٣٠٠)، وَ«مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج٦ ص١٣٤)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص٣٤١)، وَ«دَلِيلَ الْفَالِحِينَ» لِابْنِ عَلَّانٍ (ج٣ ص٥٠)، وَ«الرِّسَالَةَ» لِلْقُشَيْرِيِّ (ص٣٧٩).

(٢) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج٢ ص٣٤٨ و٣٥١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ:٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ:٢١٥].

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ).(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ؛ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ).(٢)

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ: سَأَلْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ التَّوَاضُعِ؟، قَالَ: (التَّوَاضُعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لَهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ: قَبِلْتَهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ: قَبِلْتَهُ مِنْهُ).(٣)

وَعَنِ الْإِمَامِ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لُقْمَانُ:

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٦٥).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٥٨٨).

(٣) **أَثَرٌ صَحِيحٌ.**

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُعِ» (٨٨)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٨ ص٩١)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» (ج١ ص٦٤٢)، وَالسُّلَمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» (ص١١)، وَالْقُشَيْرِيُّ فِي «الرِّسَالَةِ» (ص٣٨٢).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْغَزَالِيُّ فِي «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» (ج٢ ص٣٤٢)، وَالزَّبِيدِيُّ فِي «إِتْحَافِ الْمُتَّقِينَ» (ج٨ ص٣٥٤).

١٨]؛ قَالَ: (**هُوَ الْإِعْرَاضُ، أَنْ يُكَلِّمَكَ الرَّجُلُ، وَأَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُ**).[١]

* وَهَذَا هُوَ الْكِبْرُ.

* **وَالْكِبْرُ**: هُوَ السَّيِّئَةُ، الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

قُلْتُ: فَلَا تَتَكَبَّرَ، فَتَحْتَقِرَ عِبَادَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ، إِذَا كَلَّمُوكَ فِي الدُّنْيَا، أَوِ الدِّينِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.[٢]

وَعَنِ الْإِمَامِ الضَّحَّاكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الْحَجُّ:٣٤]؛ قَالَ: (الْمُتَوَاضِعِينَ).[٣]

الشَّرْطُ الثَّامِنُ: وَمِنْ شُرُوطِ التَّوْبَةِ: بَيَانُ الْمُبْتَدِعِ الْمُتَعَالِمِ، فِيمَا أَفْسَدَهُ، مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَرِيضَةِ[٤]، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فِي الْعَالَمِ:

* **وَالتَّبْرِئَةُ**: مِنْ كُتُبِهِ الْبِدْعِيَّةِ، وَمِنْ دُرُوسِهِ الْفَاسِدَةِ، أَمَامَ الْمَلَأِ، ثُمَّ يَنْزَوِي فِي بَيْتِهِ،

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُعِ» (٢٢٧).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٢) وَانْظُرْ: «الدُّرَّ الْمَنْثُورَ» لِلسُّيُوطِيِّ (ج٥ ص١٦٦).

(٣) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُعِ» (ص١٤٣)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٨ ص٤٣٨)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج١١ ص٢٠٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج١٣ ص٥٨٠).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي «الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (ج٤ ص٣٦٠)، وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (ج٨ ص٤٣٨).

(٤) وَلَا يَكْتُمُ الْحَقَّ، وَعَلَيهِ بِبَيَانِهِ فِي الدِّينِ.

وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي الدِّينِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عَلَىٰ يَدِ أَهْلِ الْحَدِيثِ: الْعِلْمَ النَّافِعَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، ثُمَّ حَتَّىٰ يَرَوْنَ أَنَّهُ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ قُدْوَةٌ فِي الدِّينِ، وَإِلَّا فَلَا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (اتَّبِعُوا آثَارَنَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الزُّهْدِ» (ج٢ ص٥٩٠)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (١٧٥)، وَأَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ» (١٦٢)، وَابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (١٠)، وَالدَّارِمِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٢٨٨)، وَابْنُ أَبِي زَمَنِينَ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ» (١١)، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي «الْعِلْمِ» (٥٤)، وَالْمَرْوَزِيُّ فِي «السُّنَّةِ» (ص٢٣)، وَبَحْشَلٌ فِي «تَارِيخِ وَاسِطٍ» (ص١٩٨)، وَأَبُو شَامَةَ فِي «الْبَاعِثِ» (٢٤)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (ج٩ ص١٦٨)، وَالْأَصْبَهَانِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٤٦٠)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج١ ص٨٦)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ» (١٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَىٰ عِلْمِ السُّنَنِ» (٢٠٤)، وَالدَّانِيُّ فِي «عُلُومِ الْحَدِيثِ» (ص٢٩٠).

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

قُلْتُ: فَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَطَبِّقُوا آثَارَهُمْ فِي دَعْوَتِكُمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الْمُجَادَلَةُ:٢٢]؛ فَمَنِ اتَّبَعَهُمْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا، وَالسَّلَامُ يَا أَنَامُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١ ص٢٢٧):

(وَالْمُسْلِمُونَ مَأْمُورُونَ بِالِاتِّبَاعِ، لَا بِالِابْتِدَاعِ، لِكَمَالِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاغْتِنَائِهِ بِمَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَرَسُولُهُ ﷺ، وَتَلَقَّاهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بِالْقَبُولِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَنْ نَهَجَ مَنْهَجَهُمْ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «دَرْءِ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (ج٥ ص٧):

(وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ صَفْوَةَ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِينَ لَهُمْ فِي الْأُمَّةِ لِسَانُ صِدْقٍ، مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا، هُمْ عَلَىٰ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ). اهـ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ سَيِّئٌ).[1]

* هَذَا وَأَمْرُ التَّوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ لِحَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَيْهَا، فَاللهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَتَمُرُّ بِهِمْ لَحَظَاتُ ضَعْفٍ يَحْتَاجُونَ بَعْدَهَا إِلَىٰ عَوْنٍ إِلَهِيٍّ يَتَغَلَّبُونَ بِهِ عَلَىٰ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَالشَّيْطَانِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْبِدَعِ، وَالضَّلَالَةِ.

* وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ بِالتَّوْبَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّورُ: ٣١].

قُلْتُ: وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ التَّائِبُ مُفْلِحًا؛ إِلَّا مَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالِاعْتِقَادِ

---

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٣٧٩)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ» (ص٢٤٦)، وَالْقَطِيعِيُّ فِي «زَوَائِدِهِ عَلَىٰ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (ص٥٤١)، وَالْبَزَّارُ فِي «الْمُسْنَدِ» (ج٥ ص٢٦٢)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ» (ج٢ ص٨٥٨)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج٣ ص٧٨)؛ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

الصَّحِيحِ، وَالْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَتَرَكَ مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْبِدَعِ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الْحُجُرَاتُ:١١].

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُقَالُ: إِنَّ الْبِدَعَ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدَعُ يَعْتَقِدُهَا صَاحِبُهَا دِينًا؛ فَلَا يَتُوبُ مِنْهَا).(٢) اهـ.

قُلْتُ: وَهَذَا الْمُبْتَدِعُ هُوَ الَّذِي تُحْجَبُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ قَلَّمَا أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبِدْعَةِ.

* فَالْمُبْتَدِعُ يَرَىٰ أَنَّ بِدْعَتَهُ هَذِهِ دِينٌ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَىٰ هُدًىٰ، وَيَظُنُّ أَنَّ رُجُوعَهُ عَنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ هُوَ رُجُوعٌ عَنِ الْحَقِّ وَالدِّينِ، وَلِهَذَا قَلَّ أَنْ يَتُوبَ مِنْهَا، بِخِلَافِ صَاحِبِ الْمَعْصِيَةِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَىٰ خَطَأٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَأَنَّ فِعْلَهُ هَذَا مُخَالِفٌ لِلدِّينِ، فَرُجُوعُهُ وَتَوْبَتُهُ أَقْرَبُ(٣).(٤)

وَإِلَيكَ آثَارَ السَّلَفِ:

فَعَنِ الْإِمَامِ يَحْيَىٰ ابْنِ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كَانَ يُقَالُ: يَأْبَىٰ اللهُ لِصَاحِبِ**

---

(١) **قُلْتُ:** وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ شَامِلَةً لِكُلِّ زَلَّاتِ الْمُخَالِفِ، مَا تَظَاهَرَ بِالرُّجُوعِ عَنْهُ، وَمَا لَمْ يَتَظَاهَرْ بِالرُّجُوعِ عَنْهُ، وَمَا ظَهَرَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ.

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ج١ ص٨٩).

(٣) **وَكَمَا قَرَّرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ هُوَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْفِعْلَ سَيِّئٌ، وَهَذَا مَا لَا يُدْرِكُهُ الْمُخَالِفُ لِمُعْتَقَدِ السَّلَفِ.

(٤) وَانْظُرْ: «دَعْوَةَ أَهْلِ الْبِدَعِ» لِلزَّهْرَانِيِّ (ص١٥٦).

بِدْعَةٍ تَوْبَةً، وَمَا يَنْتَقِلُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ؛ إِلَّا إِلَىٰ شَرٍّ مِنْهَا).[١]

وَعَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (مَا كَانَ عَبْدٌ عَلَىٰ هَوًىٰ فَتَرَكَهُ؛ إِلَّا إِلَىٰ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ).[٢]

قُلْتُ: لِأَنَّ الْهَوَىٰ[٣] يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَعَنِ الْإِمَامِ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (مَا يَكَادُ اللهُ أَنْ يَأْذَنَ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ).[٤]

وَعَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (أَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَأْذَنَ لِصَاحِبِ هَوًىٰ بِتَوْبَةٍ).[٥]

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ.**

أَخْرَجَهُ ابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (ص١١٧)؛ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج١ ص٨٥).

(٢) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ ابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (ص١١٨)؛ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج١ ص٨٥).

(٣) **قُلْتُ:** بَلِ الْهَوَىٰ عِنْدَ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ حَقٌّ، وَإِنْ ضُرِبَتْ فِيهِ عُنُقُهُ.

(٤) **أَثَرٌ صَحِيحٌ.**

أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج١ ص١٤١)؛ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٥) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج١ ص١٤١)؛ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَمَعْنَاهُ: مَا دَامَ مُبْتَدِعًا يَرَاهَا حَسَنَةً، لَا يَتُوبُ مِنْهَا.

انْظُرْ: «الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج١ ص٦٨).

قُلْتُ: فَإِذَا غَلَبَ الْهَوَىٰ عَلَىٰ الْقَلْبِ، اسْتَحْسَنَ الرَّجُلُ مَا كَانَ يَسْتَقْبِحُهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

* فَالْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ، وَأَنَّ الْحَقَّ فِي جَانِبِهِ، وَلِذَلِكَ لَا يَرْجِعُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَتَيْتَهُ بِكُلِّ آيَةٍ، مَا اقْتَنَعَ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ.(١)

* لِذَا كَانَتِ الْبِدْعَةُ أَحَبَّ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَمِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، لِأَنَّ الْمَعَاصِي يُمْكِنُ التَّوْبَةُ مِنْهَا، فَيُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ صَاحِبُهَا أَنَّهُ مُذْنِبٌ، وَيَأْمَلَ التَّوْبَةَ وَيَبْدَأَهَا، وَقَدْ يُوَفَّقُ، وَقَدْ لَا يُوَفَّقُ.

* أَمَّا الْمُبْتَدِعُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُحَسِّنُ لَهُ بِدْعَتَهُ، وَيُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ فَهُوَ ضَالٌّ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقَتِهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَأَنَّ الْحَقَّ بِجَانِبِهِ هُوَ!.(٢)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١١ ص٦٨٤): (وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا، وَهَذَا مَعْنَىٰ مَا رُوِيَ عَنْ طَائِفَةٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَجَزَ التَّوْبَةَ عَلَىٰ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَا يَتُوبُ مِنْهَا، لِأَنَّهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَىٰ هُدًىٰ). اهـ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج١ ص١٢٤): (وَسَبَبُ بُعْدِهِ عَنِ

---

(١) **قُلْتُ**: وَلَوْ أَتَيْتَ لِرَبِيعٍ الْمَدْخَلِيِّ بِكُلِّ دَلِيلٍ، مَا اقْتَنَعَ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ، وَأَنَّ الْحَقَّ فِي جَانِبِهِ مِنْ دُونِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلِذَلِكَ لَنْ يَرْجِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ، وَإِنْ خَالَفَهُ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِالدَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ!.

(٢) **قُلْتُ**: فَهَذِهِ الْبِدَعُ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الدِّينِ مَا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبَلِّغَهَا، وَهَذَا مَا شَهِدَ بِهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ، لِلرَّسُولِ ﷺ، إِذْ شَهِدُوا لَهُ بِالْبَلَاغِ وَالْبَيَانِ.

التَّوْبَةِ، أَنَّ الدُّخُولَ تَحْتَ تَكَالِيفِ الشَّرِيعَةِ صَعْبٌ عَلَىٰ النَّفْسِ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مُخَالِفٌ لِلْهَوَىٰ، وَصَادٌّ عَنْ سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ، فَيَثْقُلُ عَلَيْهَا جِدًّا، لِأَنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ، وَالنَّفْسُ إِنَّمَا تَنْشَطُ بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهَا، لَا بِمَا يُخَالِفُهُ.

* وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَلِلْهَوَىٰ فِيهَا مَدْخَلٌ، لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَىٰ نَظَرِ مُخْتَرِعِهَا، لَا إِلَىٰ نَظَرِ الشَّارِعِ، فَإِنْ أَدْخَلَ فِيهَا نَظَرَ الشَّارِعِ، فعلىٰ حُكْمِ التَّبَعِ؛ لَا بِحُكْمِ الْأَصْلِ، مَعَ ضَمِيمَةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا بُدَّ لَهُ مَنْ تَعَلُّقٍ بِشُبْهَةِ دَلِيلٍ يَنْسِبُهَا إِلَىٰ الشَّارِعِ، وَيَدَّعِي أَنَّ مَا ذَكَرَهُ هُوَ مَقْصُودُ الشَّارِعِ، فَصَارَ هَوَاهُ مَقْصُودًا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ فِي زَعْمِهِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ عَنْ ذَلِكَ[1]، وَدَاعِي الْهَوَىٰ مُسْتَمْسِكٌ بِجِنْسِ مَا يُسْتَمْسَكُ بِهِ؟ وَهُوَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ فِي الْجُمْلَةِ). اهـ

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج١ ص١٢٣): (وَحَاصِلُهَا أَنَّهُ لَا تَوْبَةَ لِصَاحِبِ الْبِدْعَةِ عَنْ بِدْعَتِهِ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْهَا؛ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَىٰ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا، أَوْ

---

(١) **قُلْتُ**: فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِرْجَاءِ، وَدَاعِي الْهَوَىٰ مُتَمَسِّكٌ بِجِنْسِ مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

* وَرَبِيعٌ الْمَدْخَلِيُّ تَرَكَ التَّوْبَةَ، خَوْفًا مِنْ لَمْزِ أَتْبَاعِهِ، وَعَيْبِهِمْ إِيَّاهُ، وَمَخَافَةَ سُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ أَمَامَ أَتْبَاعِهِ؛ فَلَا تُطَاوِعُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ إِفْسَادِ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ، اللَّهُمَّ غَفْرًا.

* كَمَا قَالَ أَبُو نَوَّاسٍ، لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ، وَقَدْ لَامَهُ عَلَىٰ تَهَتُّكِهِ فِي الْمَعَاصِي:

أَتَـــــــرَانِي يَـــــا عَتَـــــــــــــاهِي
تَارِكًـــــــــا تِـــــــلْكَ الْمَـــــــــلَاهِي

أَتَـــــرَانِي مُفْسِـــــدًا بِالنَّسْــــــــكِ
عِنْـــــــدَ الْقَـــــــــــوْمِ جَـــــاهِي

انْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٢٨٦).

قُلْتُ: وَلَا يَسْتَحِقُّ لِرَبِيعٍ المَدْخَلِيِّ اسْمَ التَّائِبِ؛ حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الْبِدْعِيَّةِ.

يَكُونُ مِمَّنْ يُظْهِرُ الْخُرُوجَ عَنْهَا[١]، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا بَعْدُ!). اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مَنْ أَدْرَكْنَا: أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ فِي التَّسْلِيمِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَىٰ مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا فِي الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ؛ لِتَرُدَّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ، وَلَا هُمْ يَرْجِعُونَ).[٢]

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْحُجَّةِ» (ج١ ص١٠٠): (قَالَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مَاضِي الْأَزْمَانِ، إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا رَجَعَ إِلَىٰ قَوْلِ خَصْمِهِ، وَلَا انْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِ إِلَىٰ مَذْهَبِ مُنَاظِرِهِ، فَدَلَّ: أَنَّهُمْ اشْتَغَلُوا بِمَا تَرْكُهُ خَيْرٌ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِهِ). اهـ

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَدَبِ الطَّلَبِ» (ص٦٦): (وَأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ الْمُبْطِلُ إِلَىٰ الْحَقِّ؛ إِلَّا فِي أَنْدَرِ الْأَحْوَالِ). اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا يَرْجِعُ).[٣]

وَقَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ» (ج١ ص١٧٥): (وَهَذَا لِأَنَّ الْمُقِيمَ عَلَىٰ الْبِدْعَةِ؛ قَلَّمَا يَرْجِعُ بِالْمُنَاظَرَةِ، وَإِنَّمَا يُنَاظِرُ مَنْ يَرْجُو رُجُوعَهُ إِلَىٰ الْحَقِّ إِذَا

---

(١) وَهَذَا شَأْنُ رَبِيعٍ الْمَدْخَلِيِّ تَمَامًا، فَإِنَّهُ يُظْهِرُ لِأَتْبَاعِهِ أَنَّهُ خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا بَعْدُ، اللَّهُمَّ غَفْرًا.

(٢) انْظُرِ: «الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ» لِابْنِ مُفْلِحٍ (ج٣ ص٥٧٧).

(٢) انْظُرْ: «غِذَاءَ الْأَلْبَابِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (ج٢ ص٥٨٣).

(٣) انْظُرْ: «غِذَاءَ الْأَلْبَابِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (ج٢ ص٥٨٣).

بَيَّنَهُ لَهُ). اهـ.

قُلْتُ: وَاللهُ تَعَالَىٰ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، حَتَّىٰ يَدَعَ بِدْعَتَهُ، وَيَرْجِعَ عَنْهَا حَقِيقَةً.

* لِأَنَّهُ قَلَّمَا يُوَفَّقُ صَاحِبُ الْبِدْعَةِ إِلَىٰ تَوْبَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ الَّتِي انْتَحَلَهَا اعْتِقَادًا، وَاتَّخَذَهَا سُنَّةً، يَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا، فَكَيْفَ يَنْزِعُ عَنْ بِدْعَتِهِ.

وَلِذَلِكَ: فَالْبِدْعَةُ أَخْطَرُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَأَضَرُّ عَلَىٰ الدِّينِ، وَأَشَدُّ فَتْكًا بِالْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

قَالَ الْإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا).[1]

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج١٠ ص٩): (وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ: «**إِنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا**»؛ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ الَّذِي يَتَّخِذُ دِينًا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلَا رَسُولُهُ ﷺ، قَدْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَآهُ حَسَنًا، فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يَرَاهُ حَسَنًا، لِأَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ: الْعِلْمُ بِأَنَّ فِعْلَهُ سَيِّئٌ لِيَتُوبَ مِنْهُ، أَوْ بِأَنَّهُ تَرَكَ حَسَنًا مَأْمُورًا بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ، أَوِ اسْتِحْبَابٍ، لِيَتُوبَ وَيَفْعَلَهُ، فَمَا دَامَ يَرَىٰ فِعْلَهُ حَسَنًا، وَهُوَ سَيِّئٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ.

* وَلَكِنَّ التَّوْبَةَ مُمْكِنَةٌ وَوَاقِعَةٌ[2]، بِأَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَيُرْشِدَهُ، حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

أَخْرَجَهُ البَغَوِيُّ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (١٨٨٥)، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (١٨٨٥)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٧ ص٢٦)؛ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٢) وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِحَدِيثِ الْعَهْدِ بِالْبِدْعَةِ، وَلَيْسَ بِالْمُقِيمِ عَلَيْهَا، فَهَذَا يُطْمَعُ فِي تَوْبَتِهِ، وَبِخَاصَّةٍ إِنْ كَانَ فِيهِ =

الْحَقُّ، كَمَا هَدَىٰ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَطَوَائِفَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَهَذَا يَكُونُ بِأَنْ يَتَّبِعَ مِنَ الْحَقِّ مَا عَلِمَهُ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج٢٠ ص١٠٣): (إِنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ؛ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ...، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْمَعَاصِي ذُنُوبُهُمْ: فِعْلُ بَعْضِ مَا نُهُوا عَنْهُ، مِنْ سَرِقَةٍ، أَوْ زِنًىٰ، أَوْ شُرْبِ خَمْرٍ، أَوْ أَكْلِ مَالٍ بِالْبَاطِلِ.

وَأَهْلِ الْبِدَعِ ذُنُوبُهُمْ: تَرْكُ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ).اهـ

وَعَنِ الْإِمَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ)، زَادَ أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ: (لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا).

أَثَرٌ صَحِيحٌ

أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي «زَوَائِدِهِ عَلَىٰ حَدِيثِ ابْنِ الْجَعْدِ» (١٨٠٩) وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (٢٣٨)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (ج٧ ص٢٦)، وَالْهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج٥ ص١٢١)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ» (ص٣٩) مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشَجِّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَتَابَعَهُ: بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ الْيَمَانِ بِهِ.

إِنْصَافٌ، وَخَشْيَةٌ للهِ تَعَالَىٰ.

* وَأَمَّا الْآخَرُ، فَلَا مَطْمَعَ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَا رَجَاءَ فِي عَوْدَتِهِ، وَلَا أَمَلَ فِي رُجُوعِهِ.

* فَعَدَمُ رُجُوعِ الْمُقِيمِ عَلَىٰ الْبِدْعَةِ عَنْ بِدْعَتِهِ هُوَ الْغَالِبُ، وَلَكِنْ رُبَّمَا رَجَعَ، وَلَكِنَّهُ شَاذٌّ، وَالشَّاذُّ لَا حُكْمَ لَهُ.

قلت: وَهَذَا الْفَرْقُ يُبَيِّنُ الْمُبْتَدِعَ الْأَوَّلَ، وَالْمُبْتَدِعَ الثَّانِيَ، فَتَنَبَّهْ.

أَخْرَجَهُ الْهَرَوِيُّ «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج٧ص١٢١).

وَأَوْرَدَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «الْحُجَّةِ» (ج٢ ص٣٨١)، وَالْحَافِظُ الْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج١ ص٢١٦).

* **وَمُرَادُ الْإِمَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِهَذَا**: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ قَلَّمَا يُوَفَّقُ لِلتَّوْبَةِ مِنْ بِدْعَتِهِ، إِذْ كَيْفَ يَتُوبُ مِنْ عَمَلٍ يَعْتَقِدُ جَازِمًا أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ زُلْفَىٰ، وَيُؤَمِّلُ عَلَيْهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَالْأَجْرَ الْعَظِيمَ، فَيَتَفَانَىٰ تَفَانِيًا عَظِيمًا فِي هَذِهِ الْبِدْعَةِ، أَوِ الْبِدَعِ، وَيَبْذُلُ فِي سَبِيلِهَا النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ، وَيُجْهِدُ جَسَدَهُ، وَمَالَهُ، وَوَلَدَهُ فِي سَبِيلِ تِلْكَ الْبِدَعِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ حِسَابِ فَرَائِضَ شَرْعِيَّةٍ، وَأُمُورٍ وَاجِبَةٍ حَتْمِيَّةٍ.

* فَرَجُلٌ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ قَلَّ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ تِلْكَ الْبِدَعِ، وَيَتُوبَ مِنْهَا، وَيَعْقِدَ الْعَزْمَ عَلَىٰ عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا، إِلَّا أَنْ يَشْرَحَ اللهُ تَعَالَىٰ صَدْرَهُ لِلسُّنَّةِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيزٍ، فَهُوَ تَعَالَىٰ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ.

قُلْتُ: وَلَيْسَ مُرَادُ الْإِمَامِ سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، كَمَا قَدْ يُفْهَمُ ذَلِكَ، أَوْ يُسْتَشْكَلُ.(١)

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُوَافَقَاتِ» (ج٣ ص٧٢): (فَلِهَذَا كُلِّهِ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ نَاظِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةُ مَا فَهِمَ مِنْهُ الْأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ

(١) وَانْظُرْ: «الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (ج١٠ ص٩ و١٠)، وَ(ج١١ ص٦٨٤ و٦٨٥)، وَ(ج١٦ ص٢٣ و٢٤)، وَ«الْآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ» لِابْنِ مُفْلِحٍ (ج١ ص١٠٩ و١١٠)، وَ«الْمُغْنِيَ» لِابْنِ قُدَامَةَ (ج١٢ ص٢٧١)، وَ«غِذَاءَ الْأَلْبَابِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (ج٢ ص٥٨١).

قُلْتُ: وَهَذَا الْفَرْقُ يُبَيِّنُ الْمُبْتَدِعَ الْأَوَّلَ، وَالْمُبْتَدِعَ الثَّانِيَ، فَتَنَبَّهْ.

بِهِ، فَهُوَ أَحْرَىٰ بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ). اهـ

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج٢ ص٦٣٤): (وَبِذَلِكَ كُلِّهِ يُعْلَمُ مِنْ قَصْدِ الشَّارِعِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مِنَ التَّعَبُّدَاتِ إِلَىٰ آرَاءِ الْعِبَادِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْوُقُوفُ عِنْدَ مَا حَدَّهُ). اهـ

قُلْتُ: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ عَنِ الْبِدْعَةِ، وَأَصَرَّ عَلَيْهَا، وَاسْتَمَرَّ فِيهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي الْغُلُوِّ، وَالْمُغَالِي فِي النَّقْدِ وَالرَّدِّ فِي الْأَشْخَاصِ مُعْرِضٌ عَنْ هَذَا الْمَقْصَدِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ قِيَامَ الْغُلُوِّ عَلَىٰ التَّشْدِيدِ عَلَىٰ الْخَصْمِ بِدُونِ بُرْهَانٍ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.[1]

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ؛ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ ذَاكَ الْجَهْمِيُّ؟، فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِذَا خَرَجْتَ فَلَا تَعُدْ إِلَيَّ، قَالَ الرَّجُلُ: فَأَنَا: تَائِبٌ!، فَقَالَ لَهُ: حَتَّىٰ يَظْهَرَ مِنْ تَوْبَتِكَ مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْ بِدْعَتِكَ).[2]

قُلْتُ: فَنَبَغَتْ نَابِغَةُ الْمُرْجِئَةِ، مُعْلِنَةً انْتِقَاصَ هَيْئَةَ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَرَفَعَتْ رَايَةَ الْكَلَامِ وَالْإِرْجَاءِ فِي بَلَدِ الْحَرَمَيْنِ، وَاتِّهَامِ الْعُلَمَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَرَمْيِهِمْ بِالْأَلْقَابِ الْمَشِينَةِ، وَالْأَلْفَاظِ الْمُقْذِعَةِ؛ مِثْلَ: «**حَدَّادِيَّةٍ**»، وَ«**بَاطِنِيَّةٍ**»، وَ«**رَافِضِيَّةٍ**»، وَغَيْرِ ذَلِكَ[3] تَتَجَارَىٰ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ شَيْئًا فَشَيْئًا، لِذَلِكَ لَا يُوَفَّقُونَ لِلتَّوْبَةِ؛

---

(١) **وَرَبِيعٌ الْمَدْخَلِيُّ**: كَذَلِكَ خَصَّصَ الرُّدُودَ عَلَىٰ فِئَةٍ دُونَ أُخْرَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأُولَىٰ لَيْسَتْ مِنْ شِيعَتِهِ، وَالثَّانِيَةَ مِنْ شِيعَتِهِ!.

* وَهَذَا مِنَ الظُّلْمِ، وَعَدَمِ الْإِنْصَافِ...، وَهَذَا الْأَمْرُ يَأْبَاهُ الْفَهْمُ السَّلِيمُ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ.

(٢) **نَقَلَهُ عَنْهُ**: ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الصُّغْرَىٰ» (ص١٦٥).

(٣) **فَقَدْ تَطَوَّرَتِ**: «**الْمُرْجِئَةُ الْخَامِسَةُ**»، إِلَىٰ أَنْ زَادَتْ عَلَىٰ أُصُولِهَا الْبَاطِلَةِ، حَتَّىٰ قَالَتْ بِأَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ، تَتَجَارَىٰ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ.

اللَّهُمَّ غَفْرًا.

فَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ يَرَىٰ رَأْيًا، فَرَجَعَ عَنْهُ، فَأَتَيْتُ مُحَمَّدًا – يَعْنِي: ابْنَ سِيرِينَ – فَرِحًا بِذَلِكَ أُخْبِرُهُ، فَقُلْتُ: أَشَعَرْتَ أَنَّ فُلَانًا تَرَكَ رَأْيَهُ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَتَحَوَّلُ!).[1]

قُلْتُ: فَيَتَحَوَّلُ مِنْ بِدْعَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ!.[2]

وَعَنِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ؛ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: (إِنَّكُمْ لَا تَرْجِعُونَ عَنْ بِدْعَةٍ؛ إِلَّا تَعَلَّقْتُمْ بِأُخْرَىٰ، هِيَ أَضَرُّ عَلَيْكُمْ مِنْهَا).[3]

قُلْتُ: وَالْكَلَبُ دَاءٌ عُضَالٌ، لَا يُرْجَىٰ شِفَاؤُهُ، وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ، وَهُوَ خَبِيثٌ مُعْدٍ، وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ.

* فَالْبِدَعُ تَتَجَارَىٰ بِأَهْلِهَا، فَتَحُولُ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ التَّوْبَةِ عَلَىٰ الْغَالِبِ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

---

(١) **أَثَرٌ جَيِّدٌ.**

أَخْرَجَهُ ابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (ص١١٨)؛ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّاطِبِيُّ فِي «الِاعْتِصَامِ» (ج١ ص١٢٣).

(٢) **قُلْتُ**: وَمِنْ أَضْرَارِ رَبِيعٍ المَدْخَلِيِّ: الرَّائِحَةُ النَّتِنَةُ الَّتِي تَفُوحُ مِنْ فِيهِ، وَعَقْلِهِ، وَالَّتِي يَشُمُّهَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ، وَهَذَا الرَّجُلُ يُفْسِدُ عَلَىٰ الْمَرْءِ عَقِيدَتَهُ السَّلَفِيَّةَ، فَتَنَبَّهْ.

قُلْتُ: وَالِانْحِرَافُ النَّاشِئُ عَنْ زَيْغِ الْعَقِيدَةِ أَشَدُّ مِنَ انْحِرَافٍ عَنْ طُغْيَانِ الْمَعْصِيَةِ، وَأَصْعَبُ عِلَاجًا، فَتَنَبَّهْ.

(٣) **أَثَرٌ حَسَنٌ.**

أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ فِي «الرَّدِّ عَلَىٰ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ» (ص٧٧)، وَالهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلَامِ» (ج٥ ص١١٩)؛ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

* **لِذَلِكَ**: يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَنْ أَخْطَأَ بَعْدَ تَحَرِّي الْحَقِّ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ، وَلَمْ يُعَانِدْ وَيُخَالِفْ، وَمَنْ تَتَجَارَىٰ بِهِ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَدَعُ عِنَادًا، وَلَا خِلَافًا؛ إِلَّا دَخَلَهُ.

* فَهَذَا هُوَ الْمُبْتَدِعُ، فَإِذَا خَالَفَ دَلِيلُ الشَّرْعِ هَوَاهُ تَأَوَّلَهُ، فَإِنِ اسْتَعْصَىٰ عَلَيْهِ رَدَّهُ، بَلْ تَرَاهُ يَتَّبِعُ شُبْهَةً وَافَقَتْ هَوَاهُ، وَيَبْتَغِي فِتْنَةً وَافَقَتْ غَرَضَهُ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:٧].

* **فَالْمُبْتَدِعُ يَزِيغُ قَلْبُهُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.**(٢)

قُلْتُ: ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَجْعَلُ ذَلِكَ عُمْدَتَهُ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا يَقَعُ مِمَّنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْعِلْمِ، فَهُوَ الْحَرِيُّ بِاسْتِنْبَاطِ مَا خَالَفَ الشَّرْعَ دَائِمًا وَأَبَدًا، فَيَجْرِي مِنْهُ مَجْرَىٰ الْكَلَبِ مِنْ صَاحِبِهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُبْتَدِعُ الْمَذْمُومُ الْآثِمُ.(٣)

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ» (ص٥٦٩): (فَمَنْ أَصْبَحَ، أَوْ أَمْسَىٰ عَلَىٰ غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَهُوَ عَلَىٰ خَطَرٍ، لِأَنَّهُ يُخْشَىٰ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ غَيْرَ تَائِبٍ، فَيُحْشَرُ فِي زُمْرَةِ الظَّالِمِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

---

(١) **قُلْتُ**: وَالْمُبْتَدِعُ هُوَ الْمُتَّبِعُ فِي الْبِدَعِ.

(٢) **قُلْتُ**: وَهَذَا لَا يُعْطِي مَفْهُومًا صَحِيحًا لِلِاسْتِدْلَالِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِلَّا إِذَا رَدَّهُ إِلَىٰ الْمُحْكَمِ.

(٣) **قُلْتُ**: أَمَّا الْعَالِمُ الرَّاسِخُ الَّذِي يَتَحَرَّىٰ مَوَاقِعَ الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ يَزِلُّ عَنْهَا أَحْيَانًا لِعَارِضٍ فَهُوَ مَغْفُورٌ لَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدَ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ هَوَاهُ، وَلَا جَعَلَهُ عُمْدَةً فِي دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، بَلْ إِنْ ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ أَذْعَنَ لَهُ، وَتَرَكَ فَهْمَهُ وَرَأْيَهُ.

[الْحُجُرَاتُ:١١]).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (ج١ ص٤٤٦): (وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، فَمَنْ لَمْ يَتُبْ، فَهُوَ ظَالِمٌ، غَيْرُ مُتْقِنٍ). اهـ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَيْدِ الْخَاطِرِ» (ص١٠٤): (فَكُلُّ ظَالِمٍ مُعَاقَبٌ فِي الْعَاجِلِ عَلَىٰ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْآجِلِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُذْنِبٍ ذَنْبًا، وَهِيَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النِّسَاءُ:١٢٣]). اهـ.

قُلْتُ: وَتَارِكُ الْمَأْمُورِ -كَالِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ، وَغَيرِهِ - ظَالِمٌ، كَمَا أَنَّ فَاعِلَ الْمَحْظُورِ – كَالْإِرْجَاءِ، وَغَيرِهِ – ظَالِمٌ.

* **وَزَوَالُ اسْمِ الظُّلْمِ عَنْهُ**: إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّوْبَةِ الْجَامِعَةِ لِلْأَمْرَيْنِ.[1]

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٣٠٥): (لَا يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ بِمُجَرَّدِ الْإِقْلَاعِ، وَالْعَزْمِ، وَالنَّدَمِ: تَائِبًا، حَتَّىٰ يُوجَدَ مِنْهُ الْعَزْمُ الْجَازِمُ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالْإِتْيَانِ بِهِ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ). اهـ

قُلْتُ: فَالتَّوْبَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ.[2]

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّوْبَةُ الْعَامَّةُ تَتَضَمَّنُ عَزْمًا عَلَىٰ فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَكَذَلِكَ تَتَضَمَّنُ نَدَمًا عَلَىٰ كُلِّ مَحْظُورٍ).[3] اهـ.

قُلْتُ: وَالتَّوْبَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَحَيَاءً مِنْهُ، لَا خَوْفًا مِنْ نُفْرَةِ

---

(١) وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٣٠٥).

(٢) وَلَا بُدَّ مِنْ تَدَارُكِ مَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَتَدَارَكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ مِنْ إِرْجَاءٍ، وَغَيْرِهِ.

(٣) انْظُرْ: «مُخْتَصَرَ الْفَتَاوَىٰ الْمِصْرِيَّةِ» (ص١٣٨).

الْأَتْبَاعِ، أَوْ عَلَىٰ رِئَاسَةٍ، أَوْ مَصْلَحَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٤ ص٣٩٢): (التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: هُوَ أَنْ يُقْلِعَ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَاضِرِ، وَيَنْدَمَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، وَيَعْزِمَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَفْعَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ).اهـ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[1] [التَّحْرِيمُ:٨].

* وَكَذَلِكَ وَرَدَتِ التَّوْبَةُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ لِأَهَمِّيَّتِهَا.

فَعَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مَائَةَ مَرَّةٍ).[2]

قُلْتُ: وَالتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْبِدَعِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج٥ ص٩٠): (وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْبَةَ فَرْضٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ). اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (ج١٨ ص١٩٧): (وَهِيَ فَرْضٌ عَلَىٰ الْأَعْيُنِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَكُلِّ الْأَزْمَانِ). اهـ

* وَالتَّوْبَةُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَرْكِ مَا لَا يَنْبَغِي، وَبِفِعْلِ كُلِّ مَا يَنْبَغِي.[3]

وَالتَّوْبَةُ: مَصْدَرُ الْفِعْلِ تَابَ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَادَّةِ: التَّاءُ، وَالْوَاوُ، وَالْبَاءُ؛ «**تَوَبَ**».

---

(١) **وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ**: هِيَ الْخَالِصَةُ، الصَّادِقَةُ الْخَالِيَةُ مِنَ الشَّوَائِبِ، وَالْمُخَالَفَاتِ، وَالْبِدَعِ، وَالْعِلَلِ، وَالْمَعَاصِي. وَانْظُرْ: «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (ج١ ص٣١٦)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص١٠٥).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٤٧٤).

(٣) انْظُرِ: «التَّفْسِيرَ الْكَبِيرَ» لِلرَّازِيِّ (ج٤ ص١٦٥).

* وَهِيَ تَدُورُ حَوْلَ مَعَانِي الرُّجُوعِ، وَالْعَوْدَةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالنَّدَمِ.(١)

قُلْتُ: وَهَلْ فَعَلَ ذَلِكَ رَبِيعٌ الْمَدْخَلِيُّ؟!، كَلَّا، كَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَقَدْ جَنَّدَ نَفْسَهُ لِلدِّفَاعِ عَنْ مَذْهَبِ الْمُرْجِئَةِ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ» (ج١٧ ص٥٩): (التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَاجِبَةٌ، إِنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَىٰ الْفَوْرِ، لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، سَوَاءً كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً، وَالتَّوْبَةُ مِنْ مُهِمَّاتِ الْإِسْلَامِ، وَقَوَاعِدِهِ الْمُتَأَكِّدَةِ، وَوُجُوبُهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالشَّرْعِ). اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفُرْقَانِ» (ص١٩٥): (فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ اسْتِغْنَاءَهُ مِنَ التَّوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ ذَلِكَ دَائِمًا). اهـ

قُلْتُ: وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَوْ بِدْعَةٍ مَعَ الْإِصْرَارِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِقْلَاعِ عَنْ ذَلِكَ، وَالْإِقْلَاعُ(٢) عَنِ الذَّنْبِ مِنْ مَعْصِيَةٍ، أَوْ بِدْعَةٍ هُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ لِلتَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ، فَالَّذِي يَرْجِعُ عَنْ مَعْصِيَةٍ، أَوْ بِدْعَةٍ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ الذَّنْبِ، لَا يُعَدُّ تَائِبًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

---

(١) انْظُرْ: «مُعْجَمَ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ (ج١ ص٣٥٧)، وَ«لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج١ ص٢٣٣)، وَ«فَتْحَ الْبَارِي» لِابْنِ حَجَرٍ (ج١١ ص١٠٦).

(٢) **وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الْأَمْرِ**: الْكَفُّ عَنْهُ، يُقَالُ: أَقْلَعَ فُلَانٌ عَمَّا كَانَ فِيهِ؛ أَيْ: كَفَّ عَنْهُ.
انْظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (ج٨ ص٢٩٢).

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا[١] عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٣٥].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: (فَوَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عِنْدَ الذُّنُوبِ، بِالِاسْتِغْفَارِ، وَعَدَمِ الْإِصْرَارِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ).[٢] اهـ.

وَعَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التَّحْرِيمُ:٨]؛ **قَالَ: (يَتُوبُ مِنَ الذَّنْبِ، ثُمَّ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ).**

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٢٨ ص١٠٧)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج٢ ص٤٩٥)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (ص٧٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (ج٥ ص٧٠٣٤) مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج٢ ص١٥٤)، وَهَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» (٩٠١)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٢٨ ص١٠٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ أَيْضًا.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص١٩٩):** (فَحَقِيقَةُ

---

(١) **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْأَثِيرِ** رَحِمَهُ اللهُ **فِي «النِّهَايَةِ» (ج٣ ص٢٢)**: (أَصَرَّ عَلَىٰ الشَّيْءِ، يُصِرُّ إِصْرَارًا، إِذَا لَزِمَهُ، وَدَاوَمَ وَثَبَتَ عَلَيْهِ). اهـ.

(٢) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ج١ ص٢٠٨).

التَّوْبَةِ: هِيَ النَّدَمُ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي حَالٍ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَلَّا يُعاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ). اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (ج١ ص٢٧٥): (وَأَمَّا التَّوْبَةُ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ مُبَاشَرَةِ آخَرَ؛ لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِهِ، وَلَا هُوَ مِنْ نَوْعِهِ: فَتَصِحُّ، كَمَا إِذَا تَابَ مِنَ الرِّبَا، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ مَثَلًا، فَإِنَّ تَوْبَتَهُ مِنَ الرِّبَا صَحِيحَةٌ، وَأَمَّا إِذَا تَابَ مِنْ رِبَا الْفَضْلِ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ رِبَا النَّسِيئَةِ، وَأَصَرَّ عَلَيْهِ، أَوِ الْعَكْسِ، أَوْ تَابَ مِنْ تَنَاوُلِ الْحَشِيشَةِ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ شُرْبِ الْخَمْرِ[1]، أَوْ بِالْعَكْسِ؛ فَهَذَا: لَا تَصِحُّ تَوْبَتُهُ...، وَمَنْ تَابَ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ، وَسَرِقَةِ الْمَعْصُومِينَ...، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَالْفَاحِشَةِ: صَحَّتْ تَوْبَتُهُ مِمَّا تَابَ مِنْهُ، وَلَمْ يُؤَاخَذْ بِهِ، وَيَبْقَىٰ مُؤَاخَذًا[2] بِمَا هُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ). اهـ.

قُلْتُ: فَقَدْ فَصَّلَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي الْمَسْأَلَةِ: وَبَيَّنَ أَنَّ التَّوْبَةَ تَصِحُّ مِنَ

---

(١) وَهَذِهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْبِدَعُ أَخْطَرُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَتَنَبَّهْ.

(٢) **وَرَبِيعٌ الْمَدْخَلِيُّ فِي تَوْبَتِهِ عَنْ طَعْنِهِ فِي بَعْضِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ**: يُرَاوِغُ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ فِي رُجُوعِهِ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَىٰ طَعْنِهِ فِي بَاقِي الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَيُرَاوِغُ فِي مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ بِتَرْكِ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَبَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ، وَهُوَ مُصِرٌّ إِلَىٰ الْآنَ عَلَىٰ الْإِرْجَاءِ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ مُصِرٌّ فِي بَقِيَّةِ الْمُخَالَفَاتِ، وَالضَّلَالَاتِ، لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، وَطَعْنُهُ فِي عُلَمَاءِ الْحَرَمَيْنِ، وَشَنِّ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا خَالَفُوهُ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْتَذِرْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ إِلَىٰ الْآنَ بِسَبَبِ تَكَبُّرِهِ، فَلَمْ تَصِحَّ هَذِهِ التَّوْبَةُ، فَيَبْقَىٰ مُؤَاخَذًا بِمَا هُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ، بَلْ يَقُولُ: «**مَا قُلْتُ: هَكَذَا**»!، وَهُوَ قَائِلٌ بِذَلِكَ، وَيَقُولُ: «**لَيْسَ مُرَادِي كَذَا**»، وَهُوَ مُرَادُهُ، بَلْ يُحَاوِلُ أَنْ يُؤَوِّلَ النُّصُوصَ وَالْآثَارَ حَسَبَ عِنَادِهِ، وَفَهْمِهِ السَّقِيمِ، وَهَذَا بِلَا شَكٍّ يُؤَاخَذُ بِهِ، اللَّهُمَّ غَفْرًا.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي شَهْوَةٍ، فَإِنَّهُ يُرْجَىٰ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبْرٍ؛ لَمْ يُرْجَ!). اهـ

انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ رَجَبٍ (ج١ ص٨٩).

الذَّنْبِ الْوَاحِدِ، وَلَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ آخَرٍ.

* وَإِصْرَارُ الْعَبْدِ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْبِدْعَةِ يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ الِانْغِمَاسُ فِي الْمَعَاصِي، أَوِ الْبِدَعِ، وَيُؤَدِّي إِلَىٰ التَّسْوِيفِ، وَكَثْرَةِ الْأَخْطَاءِ، وَتَتَجَارَىٰ بِهِ الْأَهْوَاءُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَهَذَا مِمَّا يَكُونُ سَبَبًا فِي الطَّبْعِ عَلَىٰ الْقَلْبِ، وَتَكْوِينِ الرَّانِ عَلَيْهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ:١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥-١٦٠].

* إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، مِنْ أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ؛ هُمْ: أَهْلُ الْبِدَعِ، الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ، لَا فِي قَوْلِهِ ﷺ، وَلَا فِي فِعْلِهِ.

* بَلْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيرِ عِلْمٍ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٩٥]؛ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِهِمْ تَبْيِينَهُ لِلنَّاسِ.

* **وَاللَّعْنَةُ**، الْفَعْلَةُ، مِنْ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، بِمَعْنَىٰ: أَقْصَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَبْعَدَهُ، وَأَسْحَقَهُ.

* **وَأَصْلُ اللَّعْنِ**: الطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾

---

(١) وَانْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١١٣)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ كَثِيرٍ (ج٢ ص٢٨)، وَ«أَحْكَامَ الْقُرْآنِ» لِابْنِ العَرَبِيِّ (ج١ ص٥٠)، وَ«تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠).

[آلُ عِمْرَانَ:١٨٧].

قُلْتُ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ تَوْبَةَ: أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الْخَارِجِ، وَتَوْبَةَ: أَهْلِ الْبِدَعِ فِي الدَّاخِلِ، لَا تُقْبَلُ، إِلَّا بِشُرُوطِهَا، الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ.

* **وَهِيَ**: إِذَا تَابُوا، يَجِبُ عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصْلِحُوا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا، وَلَا يَتْرُكُوهَا فِي فَسَادِهَا الْقَدِيمِ، مِنَ الْكُفْرِ، وَالْمَعْصِيَةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِصْلَاحِهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

* ثُمَّ إِذَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ النَّافِعَ، مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِقْهِ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ بَيَّنُوا لِلنَّاسِ هَذَا الْعِلْمَ، وَنَشَرُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَإِلَّا: فَلَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٦): (هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ، عَلَىٰ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ، وَالْهُدَىٰ النَّافِعِ لِلْقُلُوبِ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ، فِي كُتُبِهِ، التِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

* **ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ**: مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ، وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَىٰ كُفْرٍ، أَوْ بِدْعَةٍ؛ إِذَا تَابَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ).[1] اهـ.

---

(١) وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مِنَ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ، بِإِدْخَالِهِ: الْمُبْتَدِعَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَىٰ الْبِدَعِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتُوبُوا عَنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»** (ج٣ ص١١٩): (وَأَصْلَحَ حَالَ نَفْسِهِ، بِالتَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، بِمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ.

* وَبَيَّنَ الَّذِي عَلِمَ مِنْ وَحْيِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ، فَلَمْ يَكْتُمْهُ، وَأَظْهَرَهُ فَلَمْ يُخْفِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ﴾؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ مِنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ.

* فَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِيَابِ إِلَىٰ طَاعَتِي، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ مَرْضَاتِي). اهـ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ **يَعْنِي**: بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ: الْمُؤْمِنِينَ.(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»** (ج٢ ص١٨٩): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٩٥]؛ أَيْ: يُخْفُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾؛ الْبَيِّنَاتُ: جَمْعُ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ؛ وَالتَّقْدِيرُ: مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَالْهُدَىٰ﴾؛ أَيْ: الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْخَلْقُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»** (ج٢ ص١٩٦): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦٠]؛ الِاسْتِثْنَاءُ هُنَا: مُتَّصِلٌ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْكَاتِمِينَ.

* **يَعْنِي**: إِلَّا إِذَا تَابُوا؛ وَالتَّوْبَةُ: فِي اللُّغَةِ: الرُّجُوعُ.

---

(١) انْظُرْ: «جَامِعَ الْبَيَانِ» لِلطَّبَرِيِّ (ج٣ ص١٢١).

* **وَفِي الشَّرْعِ**: الرُّجُوعُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ طَاعَتِهِ.

* **وَالْمُرَادُ بِالتَّوْبَةِ**: هُنَا الرُّجُوعُ عَنْ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ، إِلَىٰ بَيَانِهِ، وَنَشْرِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؛ أَيْ: أَصْلَحُوا عَمَلَهُمْ: ﴿وَبَيَّنُوا﴾؛ أَيْ: وَضَّحُوا لِلنَّاسِ مَا كَتَمُوا مِنَ الْعِلْمِ بِبَيَانِهِ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْبَيَانُ؛ إِلَّا بِبَيَانِ الْمَعْنَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾؛ يَعْنِي: الَّذِينَ تَابُوا، وَأَصْلَحُوا، وَبَيَّنُوا: ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَيْ: أَقْبَلُ مِنْهُمُ: التَّوْبَةَ؛ لِأَنَّ تَوْبَةَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ؛ لَهَا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَوْفِيقُ الْعَبْدِ لِلتَّوْبَةِ.

الثَّانِي: قَبُولُ هَذِهِ التَّوْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التَّوْبَةُ:١١٨]). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٨): (مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: أَنَّ تَوْبَةَ الْكَاتِمِينَ؛ لِلْعِلْمِ، لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْبَيَانِ وَالْإِصْلَاحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾؛ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

الْأَوَّلُ: التَّوْبَةُ، وَهِيَ: الرُّجُوعُ عَمَّا حَصَلَ مِنَ الْكِتْمَانِ.

الثَّانِي: الْإِصْلَاحُ لِمَا فَسَدَ بِكِتْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّ كِتْمَانَهُمُ الْحَقَّ، حَصَلَ بِهِ فَسَادٌ.

الثَّالِثُ: بَيَانُ الْحَقِّ، غَايَةَ الْبَيَانِ، وَبِهَذَا تُبَدَّلُ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَاتٍ). اهـ.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

١) أَنَّ كَتْمَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَيُؤْخَذُ ذَلِكَ، مَنْ تَرْتِيبِ اللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٢) الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَهْلِ التَّحْرِيفِ، الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ نَافِعٍ،

وَهُوَ بَيِّنٌ، لَا خَفَاءَ فِيهِ، لِأَنَّ لَازِمَ طَرِيقِهِمْ أَلَّا يَكُونَ الْقُرْآنُ بَيَانًا لِلنَّاسِ، فَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ خِلَافَ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيَّنَ نَبِيُّهُ ﷺ فِي السُّنَّةِ.

٣) **الرَّدُّ عَلَىٰ أَهْلِ التَّفْوِيضِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ**: أَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهُمْ، لَا يَعْلَمُ الْخَلْقُ مَعْنَاهَا.

* **وَقَوْلُهُمْ**: هَذَا مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ.

٤) قُبْحُ هَذَا الْكِتْمَانِ، الَّذِي سَلَكَهُ الْمُبْتَدِعَةُ؛ لِأَنَّهُ كِتْمَانٌ، بَعْدَ بَيَانٍ.

٥) أَنَّ الرُّجُوعَ فِي بَيَانِ الْحَقِّ، يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا عَنْ سُبُلِ الْمُبْتَدِعَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

٦) أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ؛ الْكَاتِمِينَ، مَلْعُونُونَ؛ يَلْعَنُهُمُ اللهُ، وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.

٧) جَوَازُ الدُّعَاءِ وَاللَّعْنَةِ عَلَىٰ كَاتِمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٥٩].

٨) وُجُوبُ نَشْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ.(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠٣) (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ:١٦١]؛ أَيْ: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ يَلْعَنُهُمُ النَّاسُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَيَمْقُتُونَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

* فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مُبْغَضِينَ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَهُمْ: أَعْدَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أَيْ: فِي هَذِهِ اللَّعْنَةِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَالْمُرَادُ: فِيمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي النَّارِ الَّتِي تَكُونُ بِسَبَبِ اللَّعْنَةِ.

---

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص١٩٠ و١٩١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أَيْ: لَا يُخَفِّفُهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ وَحُذِفَ الْفَاعِلُ، لِلْعِلْمِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أَيْ: لَا يُمْهَلُونَ، بَلْ يُؤْخَذُونَ بِالْعِقَابِ، مِنْ حِينِ مَا يَمُوتُونَ وَهُمْ فِي الْعَذَابِ). اهـ.

قُلْتُ: فَلَا يُمْهَلُونَ، لِيَعْتَذِرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُنْظَرُونَ، نَظَرَ رَحْمَةٍ، وَعِنَايَةٍ بِهِمْ، بَلْ لَيْسَ لَهُمْ؛ إِلَّا الِاحْتِقَارُ، وَالذُّلُّ.

وَيُؤَيِّدُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨]؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ احْتِقَارِهِمْ، وَازْدِرَائِهِمْ وَأَنَّهُمْ: يُوَبَّخُونَ، بِهَذَا الْقَوْلِ.(١)

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص٢٠١): (وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ: عِظَمُ الْكِتْمَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ لِنَجَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ اللَّعْنَةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ: التَّوْبَةُ، وَالْإِصْلَاحُ، وَالْبَيَانُ؛ لِأَنَّ كَتْمَهُمْ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ يَتَضَمَّنُ إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ، وَإِضْلَالًا لِلْخَلْقِ؛ فَتَوْبَتُهُمْ مِنْهُ لَا تَكْفِي حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا فَسَدَ بِسَبَبِ كِتْمَانِهِمْ.

* **مِثَالُ ذَلِكَ:** قَوْمٌ كَتَمُوا صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: «**لَيْسَ هُوَ بِالرَّسُولِ الَّذِي سَيُبْعَثُ**»؛ فَسَيَضِلُّ مِنَ النَّاسِ بِنَاءً عَلَىٰ قَوْلِهِمْ: عَالَمٌ؛ فَلَا يَكْفِي أَنْ يَتُوبُوا، وَيَنْدَمُوا، وَيُقْلِعُوا، وَيُسْلِمُوا، حَتَّىٰ يُصْلِحُوا مَا أَفْسَدُوا مِنَ الْآثَارِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَىٰ كِتْمَانِهِمُ الْحَقَّ؛ وَإِلَّا لَمْ تَصِحَّ التَّوْبَةُ.

* **وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ:** عِظَمُ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ حِمْلٌ ثَقِيلٌ، وَعِبْءٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ مَنْ حَمَّلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِيَّاهُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ خَطَرٍ إِذَا لَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهِ مِنَ الْبَيَانِ؛ وَسَبَقَ أَنَّ

(١) وَانْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ» لِشَيْخِنَا ابْنِ عُثَيْمِينَ (ج٢ ص٢٠٤).

الْبَيَانَ حِينَ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ، إِمَّا بِلِسَانِ الْحَالِ؛ وَإِمَّا بِلِسَانِ الْمَقَالِ). اهـ.

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٥): (يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: قَوْلًا، بَاطِلًا، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بُطْلَانُهُ، أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ). اهـ.

* فَالْمُصِرُّ عَلَىٰ إِفْسَادِ النَّاسِ، عَنْ طَرِيقِ دَعْوَتِهِ الْفَاسِدَةِ، وَالْمُسْتَمِرُّ بِهَا، فَهَذَا وَإِنْ تَابَ، فَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، مَا دَامَ مُصِرًّا عَلَىٰ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، وَالْإِثْمِ الْعَمِيمِ، فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ التَّائِبِينَ، وَلَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ التَّائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي مَدْحِ التَّائِبِينَ، لِأَنَّ تَوْبَتَهُ ثَابِتَةٌ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، فَلَا تَصِحُّ؛ إِلَّا مَعَ الْإِقْلَاعِ عَنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ.[1]

قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (ج٢ ص١٩٩): (وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ؛ فَيَرْجِعُ مِنَ الشِّرْكِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الزِّنَىٰ إِلَىٰ الْعَفَافِ، وَمِنَ الِاسْتِكْبَارِ إِلَىٰ الذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَمِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الطَّاعَةِ.

* **وَشُرُوطُهَا خَمْسَةٌ**: الْإِخْلَاصُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَالنَّدَمُ عَلَىٰ الذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي وَقْتٍ تُقْبَلُ فِيهِ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ بِالتَّوْبَةِ: رِضَا اللهِ، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَىٰ التَّوْبَةِ خَوْفُ مَخْلُوقٍ، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: النَّدَمُ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ مِنْهُ مِنَ الذَّنْبِ، وَمَعْنَىٰ؛ «**النَّدَمِ**»: أَنْ يَتَحَسَّرَ الْإِنْسَانُ أَنْ وَقَعَ مِنْهُ هَذَا الذَّنْبُ.

---

(١) **قُلْتُ**: فَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ: مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؛ وَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ: أَدَاءُ حُقُوقِ الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ الْعِبَادِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْلِعْ، فَهُوَ لَيْسَ شَرْطًا مُسْتَقِلًّا -كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ-، وَلَكِنَّهُ شَرْطٌ دَاخِلٌ فِي الْإِقْلَاعِ، إِذْ إِنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْحَقَّ إِلَىٰ أَهْلِهِ؛ لَمْ يُقْلِعْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ يَعْزِمَ أَلَّا يَعُودَ؛ فَإِن لَمْ يَعْزِمْ: فَلَا تَوْبَةَ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّرْطِ أَنْ لَا يَعُودَ، فَإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الذَّنْبِ، لَمْ تَبْطُلْ تَوْبَتُهُ الْأُولَىٰ؛ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَجْدِيدِ التَّوْبَةِ.

الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنَّ تَقَعَ التَّوْبَةُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ؛ يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ فِي وَقْتِ قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ: قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

* **فَإِذَا كَانَ بَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ**: لَمْ تُقْبَلْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٨].

* **وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**: لَمْ تُقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨]). اهـ.

❁ ❁ ❁

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الرَّقْمُ	الْمَوْضُوعُ	الصَّفْحَةُ
١)	الْمُقَدِّمَةُ	٥
٢)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى شُرُوطِ التَّوْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ، لِلتَّائِبِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ؛ إِلَّا بِهَا فِي الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ	٢٣
٣)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى الشُّرُوطِ الصَّحِيحَةِ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْعَبْدِ التَّائِبِ	٧٨
٤)	الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَى؛ بِأَنْ يَكُونَ قَصْدُ التَّائِبِ رِضَا اللهِ تَعَالَى، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَحْمِلَهُ عَلَى التَّوْبَةِ: خَوْفُ مَخْلُوقٍ مِنْ أَهْلِ الْمَنَاصِبِ، أَوْ رَجَاءُ مَخْلُوقٍ، أَوْ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ فِي عَمَلٍ عِنْدَ أَهْلِ الْبِدَعِ، أَوْ أَهْلِ الْمَعَاصِي، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ	٧٨
٥)	الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي حَالِ صِحَّةِ الْإِنْسَانِ؛ يَعْنِي: فِي شَبَابِهِ، وَفِي حَيَاتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَهُ أَسْبَابُ مَرَضِ الْمَوْتِ، وَهُوَ الْقَرِيبُ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، لَا مِنْ قَرِيبِ الْمَوْتِ	٨٥
٦)	الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَتَعَلَّمَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ، وَأَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَعْمَلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ: عَنْ قَرِيبٍ، بَعْدَ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ مُبَاشَرَةً، لِيَتَدَارَكَ مَا فَاتَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ فِي الدِّينِ	٩٨
٧)	الشَّرْطُ الرَّابِعُ: الصِّدْقُ فِي التَّوْبَةِ	١١٩

٨) الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ، مِنْ جَهْلٍ بَسِيطٍ، غَيْرَ مُصِرٍّ، وَلَا مُعَانِدٍ، فَهَذَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، لِأَنَّهُ مُتَذَلِّلٌ، وَمُتَوَاضِعٌ للهِ تَعَالَى ١٢٩

٩) الشَّرْطُ السَّادِسُ: الِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ، وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ ١٣٧

١٠) الشَّرْطُ السَّابِعُ: التَّوَاضُعُ للهِ تَعَالَى، مِنَ التَّائِبِ فِي حَالِ تَوْبَتِهِ، بِأَنْ يَنْقَادَ لِلْحَقِّ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ، وَالْإِذْعَانُ، بِدُونِ لَفٍّ، وَلَا دَوَرَانٍ أَثْنَاءَ الرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ وَأَثْنَاءَ التَّوْبَةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَاضُعُ فِي الدِّينِ ١٤٢

١١) الشَّرْطُ الثَّامِنُ: وَمِنْ شُرُوطِ التَّوْبَةِ: بَيَانُ الْمُبْتَدِعِ الْمُتَعَالِمِ، فِيمَا أَفْسَدَهُ، مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَرِيضَةِ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فِي الْعَالَمِ ١٤٥

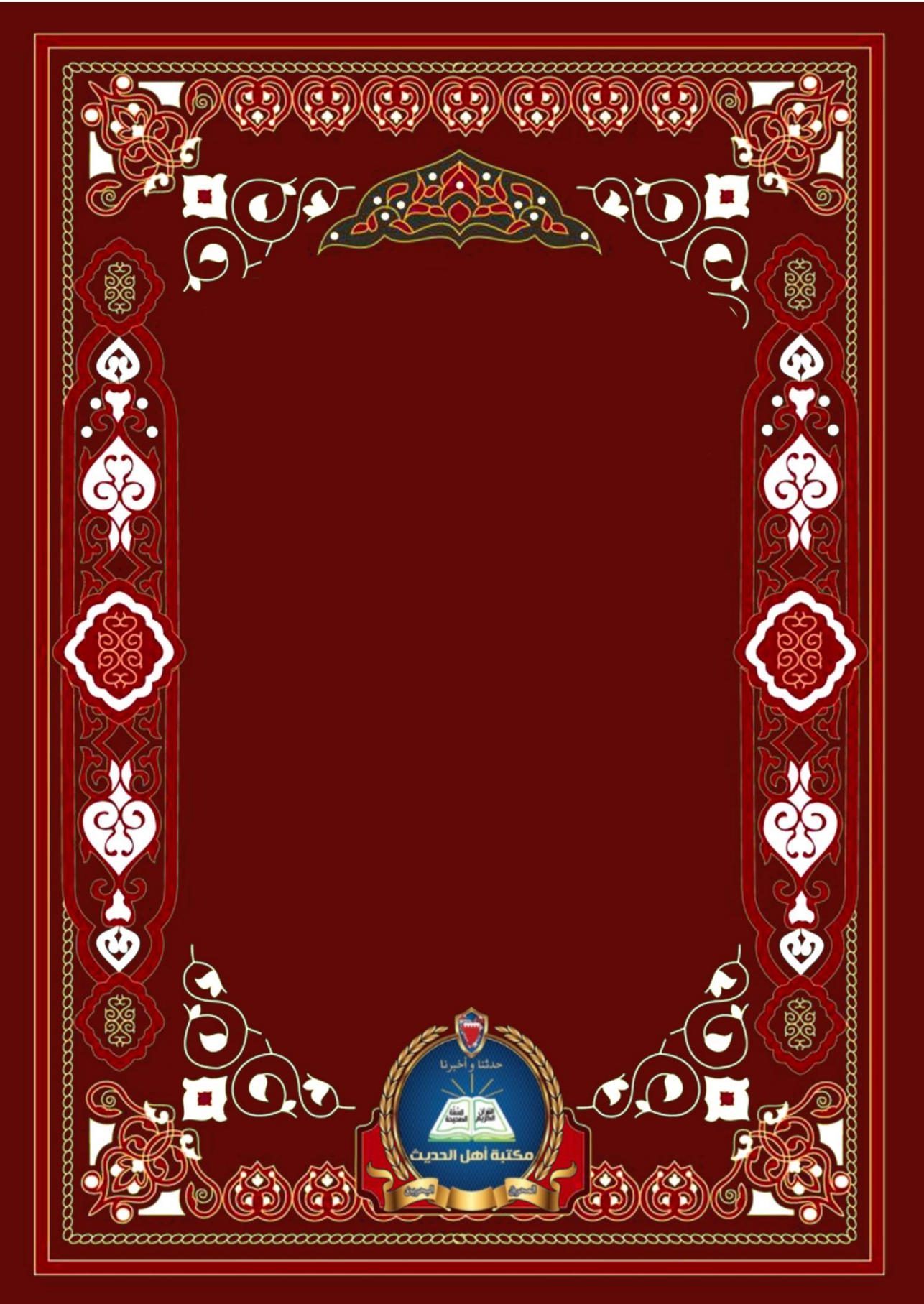
حدثنا و أخبرنا
مكتبة أهل الحديث